الكتاب: الأعلام من الصحابة والتابعين
المؤلف: الحاج حسين الشاكري
الجزء: ٧
الوفاة: معاصر
المجموعة: من مصادر العقائد عند الشيعة الإمامية
تحقيق:
الطبعة: الثانية
سنة الطبع: ١٤١٨
المطبعة: ستارة
الناشر: المؤلف
ردمك:
ملاحظات:

حقوق الطبع محفوظة
إلا بإجازة المؤلف
الترجمة إلى لغات أخرى مجازة مجانا
بعد عرضها على المؤلف

الكتاب: سلسلة الأعلام من الصحابة والتابعين (٧)
تأليف: حسين الشاكري
الناشر: المؤلف
الطبعة: الأولى - ١٤١٨ ه. ق.
المطبعة: ستاره
العدد: ١٥٠٠ نسخة
صف الحروف: محمد الخازن
الفلم والزنك: ليتوغرافي تيزهوش
عنوان المؤلف
الجمهورية الإسلامية في إيران / قم المقدسة
زنبيل آباد - ٣٠ متري آستانة - بلاك ٧٦ - كد ٣٧١٦٦
هاتف: ٩٢٦٩٩٠ - تلفاكس ٩٢٧٨٧١ - كد ٠٠٩٨٢٥١

المقدمة

لنرجع إلى عمق التأريخ قليلا، ونذكر نبذة من حياة عمرو العلى بن عبد مناف، المعروف ب (هاشم)، ومن ثم بابنه شيبة الحمد، المعروف ب (عبد المطلب).

كانت لهاشم تجارة واسعة بين مكة والشام صيفا، وبين مكة واليمن شتاء.

وكان أول من سن رحلتي الشتاء والصيف، كما ورد ذكر هاتين الرحلتين في القرآن الكريم (سورة الإيلاف)، وقد عرفت قريش بهما وكانت أضخم قوافل التجارة في الجزيرة العربية.

وفي إحدى رحلاته إلى الشام، مر بطريقه إلى يثرب (المدينة المنورة بعد هجرة الرسول (صلى الله عليه وآله) إليها)، فرأى فتاة جميلة هيفاء، تلاقت عيونهما لحظات، لكنها

كانت آسرة فسأل عنها، قيل: إنها (سلمى) ابنة عمرو بن عدي بن النجار من سادات الخزرج.

وحينما تقدم (هاشم) لخطبتها، اشترطت عليه، كما اشترط أهلها أن يقيم في ديارهم، كما اشترطوا لو أنجب منه أطفالا فإنهم يبقون مع أمهم بيثرب، فوافق هاشم على شروطهم، فتزوجها، وبعد فترة سافر إلى مكة، واصطحب زوجته (سلمى) معه، ثم عاد بها إلى يثرب في طريقه إلى الشام، وصار يتنقل بين مكة

ويثرب والشام.
وقد حملت زوجته، وقبل وضعها احترم هاشم وعده الذي قطعه على نفسه، فعاد بها إلى (يثرب) لكي تضع وليدها عند أهلها.
ولما وضعت وليدها كان ذكرا، وكان شعر رأسه غزيرا ناعما، حالك السواد، إلا خصلة واحدة ناصعة البياض، ومن أجل ذلك اطلق عليه اسم (شيبة)، وفرح به أبوه كثيرا.
ترك هاشم وليده وأمه في يثرب، وسافر في رحلته التجارية إلى الشام، فمرض في مدينة غزة (بفلسطين) ووافاه الأجل المحتوم هناك، ودفن فيها بعيدا عن أهله وزوجته وابنه.
واستولى أخوه نوفل على أمواله، وما كان أحد من أهله وإخوته يعلم أن له زوجة في يثرب وأنجب منها ولدا.
بقيت زوجته (سلمى)، لم تتزوج بعد وفاته بالرغم من شبابها وجمالها وطيب أرومتها ونسبها، ورفضت كل من تقدم لخطبتها، وكرست حياتها على تربية وليدها الوحيد، اعتزازا بمجد زوجها ووفاء له، هكذا يفعلن بنات الأشراف والأرومات الماجدة.
كانت (سلمى) تحدث وليدها (شيبة) عن أمجاد أبيه وعظمته، وعظمة آبائه الكرام، وأنه سيد البطحاء الذي هشم الثريد لقومه وللحجاج في السنين العجاف، وكان زعيم قريش بدون منازع، شأنها شأن كل زوجة وفية مخلصة لزوجها، تحفظه حيا وميتا.
ويوما مر رجل من بني الحارث في إحدى أزقة يثرب، فسمع غلامين يتشاجران ويتفاخران، وإذا بأحدهم يقول للآخر بكل فخر واعتزاز: من أنت؟

أنا ابن هاشم سيد قريش، وسيد بطحاء مكة، أنا ابن هاشم الثريد لقومه وزائري بيت الله الحرام.
وما كاد الرجل يسمع ذلك حتى اقترب من الغلام وسأله: ماذا قلت؟؟ ومن أنت؟؟ قال الغلام: أنا شيبة بن هاشم بن عبد مناف، لقد مات أبي في مدينة غزة بالشام.
عاد الرجل إلى مكة، وأبلغ صديقه المطلب بن عبد مناف - أخو هاشم وعم الغلام - وقال له: قدمت لتوي من يثرب، وقد رأيت هناك ابن أخيك هاشم. وسأله المطلب في دهشة: ابن أخي؟؟ قال: نعم، سمعته يتباهى أمام غلام آخر قائلا له: أنا ابن هاشم سيد بطحاء مكة وسيد قريش، أنا ابن هاشم الثريد لقومه وللحجيج.
وما أن سمع المطلب ذلك حتى قال: سأذهب إلى يثرب لآخذه، والله لن أرجع إلى أهلي حتى آتي بابن أخي (هاشم).
قال له الحارثي: إن كان الأمر كذلك فهذه ناقتي وأنت تعرف سرعتها، لقد تركتها بالفناء، فاركبها وانطلق بها إلى يثرب. فركب المطلب ناقة الحارثي وانطلق إلى يثرب، وحين دخلها وذهب إلى حي بني النجار، وجد بعض الغلمان يلعبون في طرقاتها، فتفرس في وجه أحدهم، وإذا به يجد شمائل أخيه هاشم في الصبي، فناداه ثم سأله: هل أنت ابن هاشم؟ أجابه الصبي بفخر واعتزاز: نعم، أنا هو، أنا ابن هاشم سيد البطحاء وسيد قريش. ولما سمع المطلب كلام الغلام هملت عيناه بالدموع وفتح ذراعيه وضم الغلام إلى صدره وقال: بني، أنا عمك، شقيق أبيك (هاشم). قال الغلام وهو يكاد يطير فرحا: يا عم، حدثني قلبي بأن فيك ريح أبي وشمائله.
واندفع الغلام إلى عمه بقوة وانضم إلى صدره وأخذ يقبله بحرارة وشوق،

وكلاهما يبكي من شدة الوجد.
ثم قال العم: سآخذك معي إلى مكة. قال الغلام: أتمنى ذلك بشرط موافقة أمي على ذلك.
ثم ذهبا معا إلى دار الغلام، وقابل المطلب السيدة سلمى أم شيبة وأهلها، وطلب منها الموافقة على مصاحبة الغلام معه إلى مكة، فرفضت في بادئ الأمر وامتنعت، وما زال بها ويمنيها بمجده الزاهر وتسنم مكانة أبيه، حتى وافقت بإرساله مع عمه إلى مكة، فذهبا، ولما وصلا مكة وكان قد أردفه خلفه، كثر تساؤل الناس عن الغلام، وخشي عليه عمه من الحساد والأعداء، فكان يجيبهم بقوله: إنه عبد لي. وبذلك اشتهر وعرف ب (عبد المطلب)، ولم يلبث طويلا حتى كشف المطلب عن
حقيقة أمر ابن أخيه هاشم، وأعلن اسمه ب (شيبة).
وعرفت مكة وقريش وسائر العشائر العربية بموقعه ومكانته في قريش، وإن اسمه شيبة بن هاشم، غير أن لقب (عبد المطلب) غلب اسمه الحقيقي.
ساد عبد المطلب قومه بمواهبه السنية، ومزاياه الحميدة، ونفسه الكريمة، وهو لم يزل في ريعان شبابه.
طالب عبد المطلب عمه نوفل بن عبد مناف بإرث أبيه الذي استولى عليه، غير أن نوفل كان يماطله بحجة أنه لم يبلغ سن الرشد.
ولما يئس من الحصول على إرثه من عمه نوفل أرسل رسولا من قبله ليبلغ أمه وأخواله، وضمن الرسالة بعض الأبيات يستنصرهم فيها على عمه نوفل في رد إرثه، وكان ذلك بعد موت عمه المطلب الذي هو شقيق أبيه:
وكتب في رسالته وضمنها هذه الأبيات:
قد كنت فيكم ولا أخشى ظلامة ذي * ظلم عزيزا منيعا ناعم البال

فغاب مطلب في قعر مظلمة * وقام نوفل كي يعدو على مالي
فاستنفروا وامنعوا ضيم ابن أختكم * لا تخذلوه وما أنتم بخذال

وما أن وصلت رسالة شيبة والأبيات إلى أمه وأخواله بني النجار حتى خفوا لنجدته، فتوجه من أبطالهم ثمانون رجلا إلى مكة، وعسكر بعضهم بفناء الكعبة، وذهب البعض الآخر ليحضر عمه (نوفل بن عبد مناف)، وما أن رآهم حتى رحب بهم، وقال: أنعموا صباحا. وبعد حديث طويل قالوا: يا نوفل، عليك أن تنصف ابن أخيك وابن أختنا من ظلامته.

قال نوفل: سأفعل ذلك بالحب والكرامة، وكتبوا في ذلك عهدا بمحضر مشيخة قريش وشهدوا على تعهد نوفل أن يرد على شيبة بن هاشم جميع حقوقه من تركة أبيه (هاشم بن عبد مناف).

عاد الوفد من أخوال شيبة إلى يثرب قريري العين، ليطمئنوا أمه بنصرة ولدها واسترداد حقوقه.

عظم شأن عبد المطلب بن هاشم في قريش بعد تلك الحادثة، واسترجع مكانة أبيه ومجده في قريش بجدارة، لا سيما في الرفادة والسقاية وما يتبعهما من أمور الزعامة في قريش والعرب، ومكنته شخصيته القوية وعقليته الفذة وبصيرته النافذة وسجاياه الحميدة من النخوة والكرم والشجاعة، مما جعله جديرا أن يسود قريش، ويصبح من ساداتها وأشرف رجالها، وأعظمهم شأنا، وأرفعهم منزلة ومكانة، وهو لا يزال في مقتبل العمر.

وهو الذي أحيى سنة أبيه هاشم في رفادة قومه والحجاج في يوم ساغب، حتى أن عبد الله بن الزبعرى مدح هاشم بهذه الأبيات، وسبب تسميته ب (هاشم)، لأنه كان يكسر الخبز ويهشمه لقومه وللحجيج، ويجعله ثريدا باللحم.

عمرو العلى هشم الثريد لقومه * قوم بمكة مسنتين عجاف (١)
سنت إليه الرحلتان كلاهما * سفر الشتاء ورحلة الأصياف

ومن نافلة القول: أن أجدادهم وعبد مناف وبنيه هم مسلمون موحدون، يدينون بدين جدهم إبراهيم خليل الرحمن، ويسمون بالأحناف، وهو دين سائد في الجزيرة العربية إلى جنب الوثنية، كما قال سبحانه وتعالى في محكم كتابه المجيد: * (ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن حنيفا مسلما وما كان من المشركين) *.

والأحناف دين هاشم وآبائه وإخوته وأولاده إلا من شذ منهم، مثل نوفل وأبنائه، مطعم وطعيمة الذي قتل يوم بدر مع من قتل من المشركين، وكذا عقيل بن الأسود بن المطلب، ومثل عبد العزى (أبو لهب) بن عبد المطلب، وغيرهم من الذين أزلهم الشيطان لعنه الله.

كان ل (عبد المطلب) شيبة بن عمرو (هاشم) بن عبد مناف، عشرة أولاد ذكور، وستة بنات من أمهات شتى، وهم: الحارث، والعباس، وضرار، وحمزة، وحجل، والمقدم، وعبد مناف (أبو طالب)، والزبير، وعبد الله (والد رسول الله (صلى الله عليه وآله))، وعبد العزى (أبو لهب)، فهؤلاء عشرة رجال، أما البنات فهن: صفية،
وأم الحكم، وعاتكة، وأميمة، وأروى، وبرة.

فحمزة، وحجل، والمقدم، وصفية (أم الزبير بن العوام) أشقاء من أم واحدة، وهي (هالة بنت وهيب).

أما عبد مناف (أبو طالب)، والزبير، وعبد الله (والد النبي (صلى الله عليه وآله))، وبقية

---

(١) المسنتون: هم الذين أصابهم القحط والجوع. والعجاف: الذين أصابهم الهزال والضعف.

البنات الخمسة فهم أشقاء من أم واحدة، وهي (فاطمة بنت عمرو بن عائد) من بني النضر.

وأما العباس، وضرار، فهم أشقاء، وأمهما هي (نثيلة بنت خباب بن كليب).

وأم الحارث وحده هي (سمراء بنت جندب).

وأم عبد العزى (أبو لهب) فهي (لبنى بنت هاجر بن عبد مناف).

هذا ما كان من بنات (شيبة الحمد) عبد المطلب، على أبناء آبائه وإخوانه وأولاده من المؤمنين والموحدين سلام الله وملائكته عليهم أجمعين.

وبعد هذه الكلمة التمهيدية، نفتتح الجزء الثاني من كتاب (الصفوة من الصحابة والتابعين)، البالغ عددهم ستة وعشرون صحابي وتابعي وخمسة عشر صحابية وتابعية ممن وقفن وجه الظلم والاستبداد.

سائلا المولى القدير أن يتقبل منا هذا اليسير، ويعفو عنا الكثير، فإنه سميع بصير، برحمته ولطفه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطاهرين.

دار الهجرة قم المقدسة، في الفاتح من شوال المكرم سنة ١٤١٦ ه.

حسين الشاكري

- ١ -

" حمزة بن عبد المطلب "

سيد الشهداء

أسد الله وأسد رسوله.

كان حمزة يعرف عظمة ابن أخيه - محمد (صلى الله عليه وآله) - وكماله، وكان على بينة من
حقيقة أمره وجوهر خصاله.

فهو لا يعرفه معرفة العم لابن أخيه فحسب، بل يعرفه معرفة الأخ لأخيه.

ذلك أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ترب حمزة، وسن متقارب نشئا معا، ولعبا معا، وتآخيا
معا، وسارا معا على الدرب من أول خطوة.

ولئن كان شباب كل منهما قد اتخذ وجهة مغايرة، فإن حمزة لم يغب عن وعيه لحظة واحدة من فضائل تربه وابن أخيه، تلك الفضائل والمكارم التي كانت تؤهل صاحبها مكانة عالية في نفوس القوم كافة، حتى اطلق عليه منذ حداثة سنه (الصادق الأمين).

فحمزة خير من عرف محمدا (صلى الله عليه وآله) منذ طفولته الباكرة، وشبابه الطاهر، ورجولته الأمينة السامقة، وعقليته الفذة، وخلقه القويم.

ولم يكن حمزة يتمتع بقوته الجسمية فحسب، بل برجاحة العقل، وقوة الإرادة، ودماثة الخلق، وفتوة الشهامة.

ومن غير المعقول، أن يتخلى حمزة عن متابعة إنسان يعرف فيه كل هذه الكمالات، والصفات الحميدة، والسجايا الكريمة.

وقد طوى في صدره هذا الإعجاب والإكبار، متحينا الفرصة المواتية لإظهار شعوره الفياض، ويطلق عنان الثورة المكبوتة بين جوانحه...

وجاء اليوم الموعود... ليخرج المارد من مكنون صدره.

خرج حمزة من داره، متوشحا قوسه، ميمما وجهه شطر الفلاة يمارس هوايته المحببة، ورياضته الأثيرة – الصيد والقنص – وكان ذو مهارة فائقة، وقضى هناك بعض يومه، ولما عاد من قنصه، ذهب كعادته إلى الكعبة المشرفة ليطوف حولها قبل أن يقفل راجعا إلى داره...

وقريبا من داره وهو عائد، التقى بخادمة لعبد الله بن جدعان، ولم تكد تبصره حتى قالت له:

يا أبا عمارة، لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمدا آنفا من أبي الحكم ابن هشام: وجده وحده هنا جالسا، فآذاه، وسبه، وبلغ منه ما يكره. ولم يجبه محمد بشئ. ومضت تشرح له ما صنع أبو جهل برسول الله (صلى الله عليه وآله).

واستمع حمزة إلى قولها، وصغى جيدا، وقلبه يغلي كالمرجل، وثارت كوامن نفسه، ثم أطرق لحظة وكانت الحاسمة، ومد يده إلى قوسه فثبتها فوق كتفه، ثم انطلق في خطى سريعة ثابتة حازمة، صوب الكعبة، راجيا أن يلتقي عندها بأبي جهل، وما كاد يبلغ الكعبة حتى بصر أبا جهل في فنائها يتوسط نفرا من سادة قريش.

وفي هدوء رهيب، تقدم حمزة من أبي جهل، ثم استل قوسه وهوى به على رأس أبي جهل فشجه وأدماه، وقبل أن يفيق الجالسون من هول الصدمة، صاح حمزة بأبي جهل:

أتشتم محمدا؟ وأنا على دينه، أقول ما يقول؟؟ ألا فرد علي ذلك إن استطعت.
نسي الجالسون تلك الإهانة التي نزلت بزعيمهم أبي جهل، والدم الذي ينزف من رأسه، وشغلهم التفكير في تلك الكلمة التي أعلنها حمزة، إنه على دين محمد، يرى ما يراه، ويقول ما يقوله.
أحمزة يسلم؟؟ أعز فتيان قريش وأقواهم شكيمة؟؟
إنها الطامة التي لن تملك قريش لها دفعا... فإسلام حمزة سيغري كثيرين من الصفوة بالإسلام، سيجد محمد حوله القوة والبأس بما يعزز دعوته، ويشد أزره، وتصبح قريش ذات يوم على هدير المعاول تحطم أصنامها وآلهتها...
أجل! أسلم حمزة، وأعلن إسلامه على الملأ، الأمر الذي كان طي صدره.
ومنذ أن أسلم حمزة نذر نفسه وكل ما يملك، بأسه، وحياته، لله ولدينه حتى خلع عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسام الشرف الرفيع بقوله " أسد الله وأسد رسوله ".
وأول سرية خرج فيها المسلمون للقاء العدو كان أميرها حمزة.
وأول لواء عقده رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأحد من المسلمين كان لحمزة.
ويوم التقى الجمعان في غزوة (بدر) كان (أسد الله وأسد رسوله) يصول ويجول، وأظهر من البطولات في ساحة الوغى ما أبهر الجميع، وأبلى بلاء حسنا، وجاهد جهاد الصابرين.
فسلام عليه يوم ولد، ويوم أسلم وجاهد، ويوم استشهد، ويوم يبعث حيا.
ولد حمزة بن عبد المطلب قبل ولادة النبي محمد (صلى الله عليه وآله) بسنتين، وقيل: بأربع
سنوات، واستشهد بمعركة أحد، في النصف من شوال السنة الثالثة من الهجرة، على رأس اثنين وثلاثين شهرا من الهجرة المباركة، وكان عمره الشريف تسعا وخمسين

سنة (٥٩).
في الدرجات الرفيعة: كان حمزة أخا لرسول الله (صلى الله عليه وآله) من الرضاعة، أرضعتهما ثويبة مولاة أبي لهب بلبن ابنها مسروح (١).

اسمه:

حمزة - كان اسمه في الجاهلية والإسلام - والحمزة في اللغة تعني: الأسد، كما في القاموس: ذو البأس الشديد.

كنيته:

أبو عمارة، وأبو يعلى، كان يكنى بولديه: عمارة ويعلى.

لقبه:

أسد الله وأسد رسوله، لقبه به رسول الله (صلى الله عليه وآله)، كما لقبه ب (سيد الشهداء).

أبوه:

شيبة، واشتهر فيما بعد ب (عبد المطلب)، كما سبق ذكره.

أمه:

هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة، وهي بنت عم آمنة

---

(١) ربما تكون هذه الرضاعة في أوائل أيام النبي (صلى الله عليه وآله) قبل أن يذهب مع مرضعته السعدية.

بنت وهب بن عبد مناف، أم النبي (صلى الله عليه وآله).
أولاده:
عمارة ويعلى، وبهما كان يكنى، ولم يعقب أي واحد منهما، غير أنه ولد ليعلى
خمسة أولاد ماتوا كلهم من غير عقب، وكانوا لرسول الله (صلى الله عليه وآله) أعوان
بعد أبيهم، ولم
يحفظ لواحد منهم حديث أو رواية.
ويروي المؤرخون: كانت لحمزة بنت اسمها فاطمة، وأمها سلمى بنت عميس
أخت أسماء بنت عميس زوجة جعفر بن أبي طالب (عليه السلام)، وقد هاجرت إلى
يثرب
مع من هاجرن من الفواطم مع علي بن أبي طالب (عليه السلام).
إسلامه:
أسلم حمزة بن عبد المطلب في السنة الثانية من المبعث النبوي الشريف،
وقيل: بل كان إسلامه في السنة السادسة منه، بعد دخول الرسول (صلى الله عليه وآله)
دار الأرقم،
ولازم نصرة الرسول (صلى الله عليه وآله) في مكة وهاجر مع أول من هاجر من
المؤمنين إلى
يثرب.
وذكر ابن إسحاق وغيره قصة إسلامه بصورة مفصلة، وهي:
قال ابن إسحاق: حدثني رجل من أسلم كان واعية، أن أبا جهل (الحكم بن
هاشم) مر برسول الله (صلى الله عليه وآله) عند الصفاة فآذاه وشتمه، ونال منه بعض ما
يكره من
العيب لدينه، والتضعيف لأمره، فلم يكلمه رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وكانت
مولاة لعبد الله
ابن جدعان في مسكن لها، فسمعت كل ما قاله أبو جهل لرسول الله (صلى الله عليه
وآله)، ثم
انصرف عنه فعمد إلى ناد لقريش عند الكعبة فجلس معهم.

كما أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) رجع إلى داره مغموما مهضوما.
فلم يلبث أن أقبل حمزة بن عبد المطلب متوشحا قوسه، راجعا من قنص له، وكان من هواة الصيد والقنص والفروسية، وكان من عادته لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالبيت الحرام، وإذا فرغ من ذلك يمر على ناد لقريش يقف عندهم قليلا ليسلم عليهم ويتحدث معهم.
وكان أعز فتى في قريش، قوة وفتوة، وأشدهم شكيمة، فلما مر بالمولاة، قالت له: يا أبا عمارة، لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد آنفا من أبي جهل (الحكم بن هشام) وجده هنا جالسا فآذاه وسبه وبلغ منه ما يكره، ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد، فاحتمل حمزة الغضب، لما أراد الله به من كرامة، فخرج حمزة يسعى، ولم يقف
على أحد متوعدا لأبي جهل إذا لقيه أن يوقع به، فلما دخل الحرم نظر إليه جالسا في القوم، فأقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها، فشج رأسه شجة منكرة، ثم قال: أتشتمه؟ وأنا على دينه، أقول ما يقول؟ فرد علي إن استطعت.
فقام رجال من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل، فقال أبو جهل - خوفا من تفاقم الأمر واتساع الفتنة بين البيتين -: دعوا أبا عمارة، فإني والله قد سببت ابن أخيه سبا قبيحا.
فلما أعلن حمزة إسلامه، واتباع دين ابن أخيه، وعرفت قريش الجد في إعلانه، وأنه سيمنعه، فعند ذلك كفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه، وقد عز الإسلام ومنع بإسلام حمزة وامتنع.
وفي الدرجات الرفيعة: أنشد حمزة هذه الأبيات حينما أسلم:
الحمد لله حين هدى فؤادي * إلى الإسلام والدين الحنيف

لدين جاء من رب عزيز * خبير بالعباد بهم لطيف
إذا تليت رسائله علينا * تحدر دمع ذي اللب الحصيف
رسائل جاء أحمد من هداها * بآيات مبينة الحروف
وأحمد مصطفى فينا مطاع * فلا تغشوه بالقول العنيف
فلا والله نسلمه لقوم * ولما نقضي منه بالسيوف
فلما أسلم حمزة بن عبد المطلب، عز به الدين والنبي (صلى الله عليه وآله)، وسر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بإسلامه كثيرا.
عند ذلك مدحه أخوه أبو طالب مشجعا إسلامه، بقوله:
فصبرا - أبا يعلى - على دين أحمد * وكن مظهرا للدين وفقت صابرا
نبي أتى بالدين من عند ربه * بصدق وحق لا تكن حمزة كافرا
فقد سرني إذ قلت " لبيك " مؤمنا * فكن لرسول الله في الدين ناصرا
ونادر قريشا بالذي قد أتيته * جهارا وقل: ما كان أحمد ساحرا
فقد كان إسلام حمزة تطورا جديدا لم يكن داخلا في حسابات قريش، حيث قلبت الموازين رأسا على عقب، وفت في عضد مشركي قريش وزاد من مخاوفها وكبح من جماحها، ومرغ كبرياءها (١).
المؤاخاة:
آخى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بين حمزة بن عبد المطلب وبين زيد بن حارثة، يوم
المؤاخاة.

---

(١) شرح النهج، لابن أبي الحديد ٣: ٣١٥، وإيمان أبي طالب، للشيخ المفيد: ٨٠.

هجرته:
كان حمزة من المهاجرين الأوائل، ولما وصل يثرب نزل على (كلثوم بن الهدم)، وقيل: على (سعد بن خيثمة)، ولا منافاة أن يكون نزل على كليهما بالتناوب.
أول لواء عقد في الإسلام لواء حمزة:
قال ابن الأثير في حوادث السنة الأولى من الهجرة، كما ذكر ابن سعد في طبقاته: عقد رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعمه حمزة لواء أبيضا في ثلاثين رجلا من المهاجرين
ليعترضوا لعير قريش، فالتقى بأبي جهل في ثلاثمائة رجل، فحجز بينهم (مجدي بن عمرو الجهني)، فانصرف ولم يكن بينهم قتال، وكان يحمل اللواء أبو مرثد، وهو أول لواء رفع في الإسلام.
وقال ابن الأثير: كان حمزة يحمل لواء رسول الله (صلى الله عليه وآله) في غزوة بواط،
وكانت في أول سنة من الهجرة.
وفيها كانت غزوة (الأبواء) وقبل غزوة (ودان).
وفي طبقات ابن سعد: قال الواقدي: حمل حمزة لواء رسول الله (صلى الله عليه وآله) في
غزوة بني قينقاع، ولم تكن الرايات يومئذ.
وقعة بدر
بالغ حمزة بن عبد المطلب في نصرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) والذب عنه والدفاع عن

الإسلام وحمايته، شهد بدرا وأبلى فيها بلاء حسنا، كما شهد أحدا وأبلى فيها بلاء حسنا، واستشهد فيها، وكان قائد جيش رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم ذاك.
ولما كانت وقعة بدر أول من برز من أبطال المشركين وصناديد قريش مبتدئين القتال: عتبة بن ربيعة، وأخوه شيبة، وابنه الوليد بن عتبة، ثم دعوا المسلمين إلى البراز، فبرز إليهم ثلاثة فتيان من الأنصار، وهم أبناء عفراء: معاذ ومعوذ وعوف، وهم من بني الحارث، فقال لهم المشركون - بعدما انتسبوا -: ارجعوا فما لنا بكم حاجة. ثم نادى مناديهم: يا محمد، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا. فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا عبيدة بن الحارث، ويا عم حمزة، ويا علي بن أبي طالب،
قوموا فقاتلوا بحقكم الذي بعث الله به نبيكم، إذ جاؤوا بباطلهم ليطفئوا نور الله، فبرزوا. فقال عتبة: تكلموا حتى نعرفكم فإن كنتم أكفاءنا، وكان عليهم البيض (١) فلم يعرفوهم، فقال حمزة: أنا حمزة بن عبد المطلب، أسد الله وأسد رسوله، فقال عتبة: كفؤ كريم، وأنا أسد الأحلاف. ثم قال: ومن معك؟ قال: هذا علي بن أبي طالب، وهذا عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب. قال عتبة: كفؤان كريمان.
هذا ما يدل على أن لقب حمزة بأسد الله وأسد رسوله كان معروفا عندهم منذ أن أسلم، وأن مقام حمزة كان أعلى من مقام عبيدة على رغم كبر سن عبيدة، وهو الذي تولى إجابة كبير المشركين.
فبرز علي إلى الوليد بن عتبة، وكانا أصغر القوم سنا، فاختلفا بضربتين أخطأت ضربة الوليد عليا، وضربه علي على حبل عاتقه الأيسر فأخرج السيف من تحت إبطه، ثم ضربه أخرى فصرعه. وبارز عبيدة شيبة وهما أسن القوم،

----

(١) البيض: لامة الحرب.

ولعبيدة بن الحارث من العمر سبعون سنة، فاختلفا بضربتين، فضربه عبيدة على رأسه ضربة فلقت هامته، وضرب شيبة ساق عبيدة فأطنها - فقطعها - وسقطا على الأرض. وبارز حمزة عتبة وهما أوسط القوم سنا، وكان عمر حمزة حينذاك سبعا وخمسين عاما، فتضاربا بالسيفين حتى انثلما، واعتنقا، فصاح المسلمون: يا علي، أدرك عمك، أما ترى الكلب قد بهر عمك حمزة، وكان حمزة أطول من عتبة، فقال علي: يا عم، طأطئ رأسك، فأدخل حمزة رأسه في صدر عتبة، فضرب علي عتبة فطرح نصفه، وكر حمزة وعلي على شيبة فأجهزا عليه، ثم حملا عبيدة بن الحارث مقطوع الساق فألقياه بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فبكى عبيدة وقال: هل وفيت

يا رسول الله؟ فقال: نعم، وأنت أمامنا في الجنة. وبعد انتهاء المعركة رجع رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأصحابه والأسرى إلى المدينة، ونقلوا عبيدة بن الحارث معهم

جريحا، فمات في الطريق ب (الصفراء)، ودفن فيها شهيدا.

فسلام عليه يوم ولد ويوم أسلم وجاهد، ويوم استشهد، ويوم يبعث حيا.

وخلاصة المعركة: استشهد من المسلمين أربعة عشر مجاهدا بما فيهم عبيدة بن الحارث، وقتل من صناديد المشركين ومشيخة قريش سبعون رجلا، واسر منهم سبعون، وفر الباقون بما خف وغلا، جارين ذيول الذل والهوان والهزيمة المنكرة تاركين قتلاهم بالعراء.

قال ابن سعد في طبقاته، وابن الأثير في الكامل: برز حمزة يوم بدر معلما بريشة نعامة على صدره وعلى بيضة رأسه، وهي شارة البطولة والشجاعة والفروسية.

وقال أمية بن خلف لعبد الرحمن بن عوف - وكان مع المشركين حينذاك -: من الرجل المعلم بريشة نعامة على صدره؟ قال: هو حمزة بن عبد المطلب. قال

أمية: هو الذي فعل بنا الأفاعيل.
من قتلهم حمزة في بدر:
١ - أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، ألبسه بنو مخزوم لامة حرب أبي جهل، فصمد له حمزة، هو يظنه أبو جهل، فضربه وقتله، وهو يقول: خذها وأنا ابن عبد المطلب.
٢ - عتبة بن ربيعة.
٣ - شيبة بن ربيعة، شرك في قتله.
٤ - طعيمة بن عدي بن نوفل، قتله حمزة برواية الواقدي، وفي رواية ابن إسحاق: قتله علي بن أبي طالب.
٥ - عقيل بن الأسود بن المطلب، قيل: اشترك في قتله حمزة وعلي، وقيل: قتله علي وحده يوم بدر.
٦ - الأسود بن عبد الأسد.
٧ - عمارة بن مخزوم.
روى ابن سعد في طبقاته بسنده عن قيس بن عبادة، قال: سمعت أبا ذر يقسم أن هذه الآيات:
* (هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا) * - إلى قوله -: * (إن الله يفعل ما يريد) *.
قال: نزلت في هؤلاء الرهط الستة يوم بدر: حمزة بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، وعبيدة بن الحارث، وفي خصمهم الذين كفروا: عتبة بن ربيعة، وأخوه شيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة.

معركة أحد

قال ابن الأثير في حوادث السنة الثالثة من الهجرة:

عندما خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى أحد كان حمزة بن عبد المطلب قائد جيوشه
متقدما بين يديه. وقاتل مقاتلة الأبطال، وأبلى بلاء حسنا.

قال الواقدي: وحمل لواء المشركين بعد طلحة بن أبي طلحة من بني عبد الدار – الذي قتله علي بن أبي طالب – فضربه بالسيف على كاهله فقطع يده وكتفه فبدا سحره، ثم رجع وقال: أنا ابن ساقي الحجيج، وبني عبد الدار هم حملة ألوية المشركين من قريش ومن أشجع أبطال قريش، قتل منهم الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ثمانية عدا الذين قتلهم عمه حمزة.

وقال ابن هشام: وقتل أرطاة بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار.

وقال ابن الأثير: وأمعن في الناس حمزة بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، وأبو دجانة (سماك بن خرشة)، في رجال من المجاهدين الصامدين، وقتلوا صناديد وأبطال قريش، وبان الانكسار في صفوف المشركين، وبدء الانهزام بينهم، ولكن مخالفة بعض من عينهم النبي (صلى الله عليه وآله) من الرماة في فتحة الجبل ونزولهم
لجمع السلب انقلبت الدائرة على جيوش المسلمين.

وفي الاستيعاب، وابن سعد في طبقاته: إن حمزة بن عبد المطلب كان يقاتل في واقعة أحد بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) بسيفين، وهو يقول: أنا أسد الله، وجعل يقبل
ويدبر، ويقتل كل من تقدم إليه.

وفي الإصابة: إن حمزة بن عبد المطلب قتل بأحد ثلاثين رجلا قبل أن يقتل، منهم: عثمان بن أبي طلحة حامل لواء المشركين من بني عبد الدار، وقتل أرطأة بن عبد شرحبيل، وقتل سباع بن عبد العزى، وغيرهم من أبطال قريش.

استشهاد حمزة:

قتله وحشي بن حرب غيلة، وهو عبد حبشي يرمي بالحربة، قلما يخطئ، ولم تكن العرب تعرف ذلك، بل هو من اختصاص أهل الحبشة، وتسمى تلك الحربة عندهم المزراق، وهي رمح قصير.

كيفية شهادته:

في شرح النهج، قال الواقدي: كان وحشي عبدا لابنة الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف، ويقال: إنه لجبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، قالت له ابنة الحارث قبل خروجهم إلى أحد: إن أبي قتل يوم بدر، فإن أنت قتلت أحد الثلاثة، فأنت حر: محمدا، أو علي بن أبي طالب، أو حمزة بن عبد المطلب، فإني لا أرى في القوم كفؤا لأبي غيرهم. فقال الوحشي: أما محمد فقد علمت أني لا أقدر عليه وأن أصحابه محيطين به ولن يسلموه، وأما حمزة فوالله لوجدته نائما ما أيقظته من هيبته، وأما علي فألتمسه. ويروى أنه قال: فأما علي فإنه حذر في الحرب ولا أستطيع التقرب إليه، وأما حمزة فإنه يقدم إقداما ويهد الناس هدا، فإني ألتمسه.

وقال وحشي: فكنت يوم أحد ألتمس عليا، فبينما أنا في طلبه إذ طلع علي، فإذا هو رجل حذر مرس كثير الالتفات. فقلت: ما هذا بصاحبي الذي ألتمسه.

وإذ رأيت حمزة يفري الناس فريا، ويهذي الناس بسيفه، وما يلقى شيئا يمر به إلا قتله، فكمنت له إلى صخرة، فاعترض له سباع بن عبد العزى الغيشاني، فقال له حمزة: وأنت أيضا يا ابن مقطعة البظور (١) ممن يكثر علينا، هلم إلي، واحتمله بسيفه حتى إذا رفعه رمى به الأرض فبرك عليه وشحطه شحط الشاة وقتله، ثم أقبل علي مكبا حين رآني، فلما بلغ المسيل وطئ على الجرف فزلت قدمه فهززت حربتي حتى رضيت منها فضربته بها في خاصرته حتى خرجت من مثانته، وكر عليه طائفة من أصحابه، فأسمعهم ينادونه ويقولون: أبا عمارة، أبا عمارة، فلا يجيبهم، فقلت: لقد مات الرجل، وانكشف عنه أصحابه حين أيقنوا بموته، وهم لا يروني، فرجعت عليه فأخذت حربتي ثم تنحيت إلى العسكر.

قال وحشي: فجئت إلى هند بنت عتبة، فقلت لها: ماذا لي إن قتلت قاتل أبيك. قالت: سلبي. فقلت: أنا قتلته. فنزعت ثيابها وما كان عليها من حلي، ثم قالت: إذا جئت مكة فلك عشرة دنانير، ثم قالت: أرني مصرعه. فأريتها، فجلست عنده وبقرت بطنه وأخرجت كبده فلاكتها فلم تستسيغها فلفظتها، فسميت ب (آكلة الأكباد)، ثم قطعت مذاكيره، وجدعت أنفه، وقطعت اذنيه، وجعلت منهم مسكتين، ومعضدين، وخدمتين.

وقال وحشي: ثم وقفت هند وصويحباتها على أجساد القتلى يمثلن بهم، واتخذن من آذان الرجال وأنوفهم خدما وقلائدا، بعد أن أعطت هند خدمها وقلائدها وخلاخلها وحشيا، ألا لعنة الله على القوم الكافرين.

ورواية أخرى عن الواقدي بسنده عن عبيد الله بن عدي بن الخيار، قال:

---

(١) كانت أمه أم نمار ختانة النساء بمكة.

إنه مر مع جماعة بحمص عصر أحد الأيام، فسألوا عن وحشي فقيل: لا تقدرون عليه، هو الآن يشرب الخمر، وفي سكر شديد، حتى يصبح، فلما كان الصبح سألوه عن قتل حمزة، فقال:
كنت عبدا لجبير بن مطعم بن عدي، فلما خرج الناس إلى أحد دعاني
وقال: قد رأيت مقتل أخي طعيمة بن عدي، قتله حمزة بن عبد المطلب يوم بدر، فلم تزل نساؤنا في حزن شديد إلي يومي هذا، فإن قتلت حمزة فأنت حر، فخرجت مع من خرج، وكان لي مزاريق، [وكنت أمهر الرماة] وكنت أمر بهند بنت عتبة، وتشجعني وتقول: إيه أبا دسمة، اشف، واشنف. فلما وردنا أحد نظرت حمزة يقدم الناس يهذهم هذا، فرآني، وقد كنت كمنت له خلف شجرة، فأقبل نحوي، وتعرض له سباع الخزاعي، فقال له حمزة: وأنت أيضا يا ابن مقطعة البظور ممن يكر علينا، هلم إلي، وأقبل نحوه حتى رأيت برقات رجليه، ثم ضرب به الأرض وقتله، وأقبل نحوي سريعا، ويعترض له جرف فيقع فيه، وأزرقته بمزراقي فيقع في لبته حتى خرج من بين رجليه فقتله، ومررت بهند بنت عتبة فآذنتها، فأعطتني ثيابها وحليها.
وبعد أن ألقت الحرب أوزارها، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): التمسوا حمزة. فبعث
أحد أصحابه يلتمسه، فلم يعد لما رأى حمزة بتلك الحالة من التمثيل، ثم بعث آخر وآخر وكل من يذهب ويشاهده بهذه الحالة لم يعد إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليخبره،
فلما استبطأهم قام وقال: أنا ألتمسه بنفسي. فلما شاهده وهو مطروح ببطن الوادي وقد مثل به شر تمثيل، فحينما رآه (صلى الله عليه وآله) بكى، ثم قال له مخاطبا: لن أصاب
بمثلك أبدا، ما وقفت موقفا قط أغيظ علي من هذا الموقف.
ورثاه بقوله: يا عم رسول الله، أسد الله وأسد رسوله، يا حمزة، يا فاعل الخيرات. يا حمزة، يا كاشف الكربات، يا حمزة، يا ذاب، يا مانع عن وجه

رسول الله. ثم قال: لولا أن حزن صفية أو تكون سنة بعدي لتركته حتى يكون في
أجواف السباع وحواصل الطير، ولئن أظهرني الله على قريش لأمثلن بثلاثين
رجلا منهم، فأنزل الله تعالى في ذلك آية:
* (فإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) *.
فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): نصبر. فصبر وعفا، ونهى عن المثلة.
وأقبلت صفية تطلب أخاها حمزة، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لابنها الزبير
بن
العوام: لتردها لئلا ترى ما بأخيها حمزة (عند مصرعه)، فلقيها الزبير فأعلمها بأمر
رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقالت: إنه بلغني أنه مثل بأخي، وذلك في الله قليل،
فما أرضانا
بما كان من ذلك، لأحتسبن ولأصبرن. فأعلم الزبير النبي (صلى الله عليه وآله) بذلك،
فقال: خل
سبيلها. فأتته وصلت عليه واسترجعت، وكانت صفية شقيقة حمزة لامه وأبيه،
كما ذكرنا ذلك آنفا.
وصلى عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله) صلاة الجنائز، فكان كلما اتي بشهيد
ليصلي
عليه، جعل حمزة معه فيصلي عليهما معا.
ثم أمر (صلى الله عليه وآله) بدفنه بملابسه دون تغسيل أو تكفين، وهي سنة تجهيز
الشهداء
وإقبارهم، وهكذا فعلوا ببقية الشهداء، وجلس (صلى الله عليه وآله) على حفرته.
ولما رجع رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى المدينة، مر بدار من دور الأنصار، سمع
البكاء
والنوائح على شهيدهم فذرفت عيناه بالبكاء، وقال: حمزة لا بواكي عليه - أو: له -
فرجع سعد بن معاذ إلى دور بني عبد الأشهل فأمر نساء الأنصار أن يذهبن فيبكين
على حمزة.
وقال الواقدي - فيما رواه ابن أبي الحديد -: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):
رضي الله
عنكن وعن أولادكن. وقالت أم سعد بن معاذ: فما بكت منا امرأة على ميتها قط

إلا بدأت بحمزة وإلى يومنا هذا. ولم تبك امرأة على ميت بعد قول رسول الله (صلى الله عليه وآله)
إلا بدأت بالبكاء على حمزة ثم بكت ميتها.
وإن السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) كانت تأتي قبر حمزة، تبكي عليه وترممه وتصلحه.
عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): سيد الشهداء
يوم القيامة حمزة بن عبد المطلب.
وقال (صلى الله عليه وآله): ما وقفت موقفا [أغيظ] لقلبي من هذا الموقف.
ثم قال: رحمك الله أي عم، فلقد كنت وصولا للرحم، فعولا للخيرات.
وفي شرح النهج: روى كثير من المؤرخين، أن عليا (عليه السلام) عقب يوم السقيفة قال [مستنجدا]: وا جعفراه، ولا جعفر لي اليوم، وا حمزتاه، ولا حمزة لي اليوم.
وفي الدرجات الرفيعة: روي عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال: كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول دائما: والله لو كان حمزة وجعفر حيين [يوم السقيفة] ما طمع
فيها فلان، ولكني ابتليت بعقيل وعباس.
ما نسب إلى حمزة من الشعر
لقد عجبت لأقوام ذوي سفه * من القبلتين من سهم ومخزوم
القائلين لما جاء النبي به * هذا حديث أتانا غير ملزوم
فقد أتاهم بحق غير ذي عوج * ومنزل من كتاب الله معلوم
إلى آخر ما ذكره السيد محسن الأمين في أعيانه ٦: ٢٤٦.
وهناك أشعار كثيرة منسوبة له، فراجع المصدر أعلاه.

الرثاء:
كما رثته أخته صفية بأبيات، منها:
فيا ليت شلوي عند ذاك وأعظمي * لدى أضبع تقتادني ونسور
دعاه إله الحق ذو العرش دعوة * إلى جنة يحيا بها وسرور
فوالله لا أنساك ما هبت الصبا * بكاء وحزنا محضري ومسيري
ورثاه عبد الله بن رواحة بأبيات، منها:
بكت عيني وحق لها بكاها * وما يغني البكاء ولا العويل
على أسد الإله غداة قالوا * أحمزة ذاكم الرجل القتيل
أصيب المسلمون به جميعا * هناك وقد أصيب به الرسول
أبا يعلى لك الأركان هدت * وأنت الماجد البر الوصول
عليك سلام ربك في جنان * مخالطها نعيم لا يزول
وهذا حسان بن ثابت، شاعر النبي (صلى الله عليه وآله)، يرثيه بأبيات، منها:
يا حمزة لا والله لا * أنساك ما صر اللقائح
لمناخ أيتام وأضياف * وأرملة تلامح
ولما ينوب الدهر في * حرب لحرب وهي لاقح
القائلون الفاعلون * ذوي السماح والممادح
من لا يزال ندى يديه * له طوال الدهر مائح
وله أيضا هذا الرثاء، ومطلعه:
أتعرف الدار عفا رسمها * بعدك صوب المسيل الهاطل
دع عنك دارا قد عفا رسمها * وابك على حمزة ذي النائل

واللابس الخيل إذا أحجمت * كالليث في غايته الباسل
أبيض في الذروة من هاشم * لم يحر دون الحق بالباطل
مال شهيدا بين أسيافكم * شلت يدا وحشي من قاتل
اظلمت الأرض لفقدانه * واسود نور القمر الناصل
صلى عليه الله في جنة * عالية مكرمة الداخل
إلى آخر القصيدة.
وهذا كعب بن مالك يرثي حمزة بقصيدة، مطلعها:
طرقت همومك فالرقا مسهد * وجزعت إن سلخ الشباب الأغيد
ولقد هددت لفقد حمزة هدة * ظلت بنات الجوف منها ترعد
ولو أنها فجعت حراء بمثله * لرأيت رأسي صخرها يتبدد
عم النبي محمد وصفيه * ورد الحمام فطاب ذاك المورد
وأتى المنية معلما في أسرة * نصروا النبي ومنهم المستشهد
إلى آخر القصيدة.
وهناك قصائد عديدة ترثي أسد الله حمزة بن عبد المطلب، ذكر بعضها السيد محسن الأمين في أعيانه ٦: ٢٤٦ - ٢٤٨.
نكتفي بهذا القدر روما للاختصار، آملا أني قد وفقت بعض ما استطعت عرضه، ومن الله سبحانه وتعالى أستمد العون والتوفيق، فله الحمد والشكر أولا وآخرا.
فسلام عليه يوم ولد، ويوم أسلم وجاهد، ويوم استشهد، ويوم يبعث حيا.

المصادر

١ - معجم رجال الحديث ٦: ٢٧١
٢ - نهج البلاغة: ٣٦٩ (صبحي الصالح)
٣ - الأعلام ٢: ٢٧٨
٤ - الاستيعاب ١: ٢٧١
٥ - أسد الغابة ٢: ٤٦
٦ - أعيان الشيعة ٦: ٢٤٢
٧ - رجال حول الرسول: ١٦١

- ٢ -

" جعفر بن أبي طالب (الطيار) "

أبو عبد الله: جعفر بن أبي طالب (١)، بن عبد المطلب (٢)، بن هاشم (٣)، بن عبد مناف بن قصي.

ابن عم رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأخ الإمام علي (عليه السلام) وشقيقه لامه وأبيه، وهو أكبر من أخيه علي بعشر سنين.

استشهد في معركة اليرموك، في معركة غير متكافئة بين المسلمين والروم (هرقل)، بأرض البلقاء بالشام في منطقة يقال لها: (مؤتة)، وذلك في شهر جمادى الأول من السنة الثامنة من الهجرة الشريفة.

كنيته:

أبا عبد الله، باسم أكبر أولاده، كما يكنى ب (أبي المساكين)، لرأفته بهم،

---

(١) اسم أبو طالب: عبد مناف.

(٢) اسم عبد المطلب: شيبة.

(٣) اسم هاشم: عمرو.

والإحسان إليهم.
كان كريما جوادا، وكان من كرمه وحنوه يقال له: أبا المساكين، قبل الإسلام
وبعده، كما سماه بذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله)، لعطفه وإحسانه إليهم، وكان
يقول لأبيه
أبي طالب: يا أبه، إني لأستحيي أن أطعم طعاما، وجيراني لا يقدرون على مثله،
فكان أبوه يقول له: يا بني، إني لأرجو أن يكون فيك خلف من عبد المطلب.
وكان له فضل كثير، وقد ورد في شأنه أحاديث كثيرة.
أمه:
فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، وهي أول هاشمية تزوجت
من هاشمي، وأولدت هاشميا.
وهي أم لأربعة أولاد: طالب، عقيل، جعفر، علي، وبنت واحدة اسمها فاختة
- أم هانئ -، أكبرهم طالب، وأصغرهم علي (عليه السلام)، كل واحد أسن من الآخر
بعشر
سنين، وكان جعفر الثالث من ولد أبيه.
كانت فاطمة بنت أسد لرسول الله (صلى الله عليه وآله) بمنزلة الام - بعد أمه آمنة
بنت
وهب -، سبقت إلى الإسلام مع السابقين، بعد السيدة خديجة بنت خويلد أم
المؤمنين.
عن عبد الله بن يسار، عن جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) قال: كانت فاطمة
بنت أسد، أم علي بن أبي طالب حادية عشرة في الإسلام، يعني في السابقة إلى
الإسلام، وكانت بدرية.
عن الزبير بن العوام، بعد حذف السند، قال: سمعت النبي (صلى الله عليه وآله) يدعو
النساء
إلى البيعة حين أنزلت هذه الآية: * (يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك) *، كانت

فاطمة بنت أسد أول امرأة بايعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) - بعد خديجة -.
هاجرت إلى المدينة مع من هاجر من الفواطم بحماية ولدها علي بن
أبي طالب (عليه السلام) حينما هاجر، وكن أربع فواطم - فاطمة الزهراء، وفاطمة بنت
أسد،
وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب، وفاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب.
ولما حضرت فاطمة بنت أسد الوفاة أوصت إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقبل
وصيتها، ولما توفيت كفنها وأدرجها في قميصه كي لا تعرى يوم يعرى الناس
يوم القيامة، ولما بلغوا لحدها، حفره بيده (صلى الله عليه وآله) واضطجع فيه، دفعا
لضغطة
القبر.
وروى النسائي بسنده بعد حذف السند، عن ابن عباس، قال:
لما ماتت فاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب ألبسها رسول الله (صلى الله عليه وآله)
قميصه، واضطجع معها في قبرها، فقال له أصحابه:
يا رسول الله، ما رأيناك صنعت بهذه المرأة، فقال: " إنه لم يكن أحد بعد
أبي طالب أبر بي منها، إني إنما ألبستها قميصي لتكسى من حلل الجنة، واضطجعت
معها في قبرها ليهون عليها ".
وعن علي (عليه السلام) - بعد حذف السند -: أمرني رسول الله (صلى الله عليه وآله)
فغسلت أمي
فاطمة بنت أسد، كما غسل زوجته الطاهرة فاطمة الزهراء بنت رسول الله (صلى الله
عليه وآله).
أولاده:
في طبقات ابن سعد: كان لجعفر من الولد عبد الله، ويكنى به، وله عقب، ومن
ولد جعفر: عون ومحمد لا عقب لهما، ولدوا جميعا لجعفر بأرض الحبشة، في
المهاجرة
إليها، وأمهم أسماء بنت عميس الخثعمية، وإخوانهم لامهم محمد بن أبي بكر، ويحيى

ابن علي بن أبي طالب.
وفي عمدة الطالب: أن أولاد جعفر بن أبي طالب ثمانية بنين: عبد الله، وعون، ومحمد الأكبر، ومحمد الأصغر، وحميد، وحسين، وعبد الله الأكبر، وعبد الله الأصغر، ومن البنات، وأمهم جميعا أسماء بنت عميس الخثعمية.
قتل محمد الأكبر في واقعة صفين بين يدي عمه أمير المؤمنين. وقتل عون ومحمد الأصغر مع ابن عمهم الحسين (عليه السلام) في واقعة الطف بكربلاء سنة ٦١ ه.
إسلامه:
في أسد الغابة: أسلم جعفر بن أبي طالب بعد إسلام أخيه علي (عليه السلام) مباشرة، ولم يسبقه أحد سوى السيدة خديجة بنت خويلد وأخوه علي بيوم أو نحوه كما مر.
وهما اللذان عاشا في بيت واحد وربتهم أم واحدة وهي (فاطمة بنت أسد)، التي كانت مربية النبي (صلى الله عليه وآله)، وهي أمه الثانية بعد أمه آمنة بنت وهب، والرسالة
ترعرعت بينهم.
وفي أسد الغابة (١): قيل: أسلم بعد واحد وثلاثين إنسانا، وكان هو الثاني والثلاثين.
وكانت فاطمة بنت أسد الثانية من المسلمات من النساء بعد خديجة، والسابقة إلى الإسلام والهجرة، وكانت لرسول الله اما حقا ترعاه قبل رعايتها لأولادها.
وروي أن أبا طالب افتقد النبي (صلى الله عليه وآله) فأخذ يبحث عنه حتى وجده يصلي

----
(١) أسد الغابة ١: ٣٤١.

وعليا خلفه عن يمينه يصليان، فقال لجعفر: صل جناح ابن عمك وصل عن يساره.
فلما سمع النبي ذلك تقدم قليلا وصفيا خلفه يصليان.
أقول: كيف يجتمع هذا مع كون أبي طالب مات كافرا، كما يزعمون؟
وفي طبقات ابن سعد، عن الواقدي بسنده: أسلم جعفر بن أبي طالب، قبل أن يدخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) دار الأرقم ويدعو الناس فيها [إلى الإسلام].
وعن الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام): أول جماعة كانت أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان
يصلي وعلي (عليه السلام) يصلي معه إذ مر أبو طالب به وجعفر معه، قال لولده: يا بني،
صل جناح ابن عمك. فلما أحس (صلى الله عليه وآله) تقدمهما وانصرف أبو طالب مسرورا،
وهو يقول:
إن عليا وجعفرا ثقتي * عند ملم الزمان والكرب
والله لا أخذل النبي ولا * يخذله من بني ذو حسب
لا تخذلا وانصرا ابن عمكما * أخي لامي من بينهم وأبي
قال (عليه السلام): فكانت أول جماعة جمعت ذلك اليوم، وإن جعفرا على التحقيق ثاني المسلمين أو المصلين من الرجال.
وأوصى أبو طالب حين حضرته الوفاة أولاده برسول الله (صلى الله عليه وآله) بقوله:
أوصي بنصر النبي الخير مشهده * عليا ابني وشيخ القوم عباسا
وحمزة الأسد الحامي حقيقته * وجعفرا ليذودوا دونه البأسا
ومن قصيدة له:
أقيم على نصر النبي محمد * أقاتل عنه بالقنا والذوابل
في طبقات ابن سعد عن الواقدي بسنده، قال محمد بن إسحاق: آخا رسول الله (صلى الله عليه وآله) بين جعفر ومعاذ.

وفي السيرة الحلبية: جمع بينهما (صلى الله عليه وآله) بأنه آخا بين معاذ وبين جعفر وهو
غائب بأرض الحبشة.
وفي أسد الغابة، كما في الاستيعاب، أقوال العلماء فيه ملخصا.
جعفر بن أبي طالب أشبه الناس خلقا وخلقا برسول الله (صلى الله عليه وآله)، وكان من
المهاجرين الأوائل، وهاجر الهجرتين، هاجر إلى أرض الحبشة، وقدم منها على
رسول الله (صلى الله عليه وآله) في المدينة يوم فتح خيبر السنة السابعة من الهجرة، فتلقاه
رسول الله (صلى الله عليه وآله) واعتنقه وقبله بين عينيه، وقال: ما أدري بأيهما أنا أشد فرحا،
بقدوم جعفر أم بفتح خيبر، وأسهم له من غنائم خيبر، واختط له رسول الله (صلى الله عليه وآله)
دارا إلى جنب المسجد.
وكانت له هجرتان، الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة، وكانت له هناك
مواقف مشهودة ومعاناة محمودة، وأجوبة سديدة، وأحوال رشيدة، سنذكر بعضا
منها، وكان كريما جوادا شهما، ولكرمه يقال له: أبو المساكين لإحسانه إليهم - كما أسلفت -.
أما ما ذكر أبو هريرة في حق جعفر، فهو قليل من كثير في حقه، فإنه كان
موصوفا بالإيمان والكرم والشهامة وسداد الرأي وطلاقة اللسان والمنطق والعطف
والحنان وحسن الأخلاق بمكان عظيم.
روى أصحاب السير والتأريخ ما معناه: أصابت قريشا سنون عسر وقحط،
وكان أبو طالب سيد قومه وشيخ البطحاء ومقصد الناس في حاجاتهم ونوالهم مع كثرة عياله.
فذهب رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى عمه العباس، وكان أثرى بني هاشم، وقال له:
قد علمت ما أصابت قريش من فاقة، وأبو طالب مع كثرة عياله، فتعال نأتيه

ونكلمه في التخفيف عن كاهله، بأخذ بعض أولاده عندنا، فقال العباس: نعم الرأي رأيت، فذهبا معا وكلما أبا طالب في ذلك، فقال: أبقوا لي عقيلا، وخذوا من شئتم. فأخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليا، وأخذ العباس جعفرا، وبقي عقيل مع أبيه.
وروى الكليني في الكافي بسنده عن ابن مسكان عن سدير الصيرفي، قال:
كنا عند الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام) فذكرنا ما أحدث الناس بعد نبيهم (صلى الله عليه وآله)
واستذلال أمير المؤمنين (عليه السلام) واستضعافه، فقال رجل من القوم: أصلحك الله يا بن
رسول الله، فأين كان عز بني هاشم وما كانوا فيه من العدد والعدة، فقال الإمام أبو جعفر (عليه السلام): من كان يفي من بني هاشم، إنما كان جعفرا وحمزة فمضيا، وبقى معه
رجلان ضعيفان ذليلان حديثا عهد بالإسلام: عباس وعقيل، وكانا من الطلقاء،
أما والله لو أن حمزة وجعفرا كانا بحضرتهما ما وصل إلى ما وصل إليه، ولو كانا شاهدين لأتلفا نفسيهما.
بداية الهجرة إلى المدينة:
ولما كثر المسلمون في مكة، وهم المستضعفون، ولم يؤذن لهم بالجهاد
والقتال، أخذ المشركون يؤذونهم بشتى أنواع العذاب والأذى، إلا من له عشيرة تحميه وتجيره، ولم يسعهم البقاء في مكة. أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) المسلمين بالهجرة إلى
أرض الحبشة، وقال: إن فيها ملكا صالحا لا يضام عنده لاجئون.
وعلى رأس من هاجر من المسلمين إلى أرض الحبشة جعفر بن أبي طالب،
وعثمان بن مظعون، فتلقاهم ملك الحبشة النجاشي بالرحب والسعة، وبقي جعفر في بلاد الحبشة ومن معه إلى أن تمكن الإسلام وقويت شوكته في يثرب (المدينة المنورة) فهاجر إليها.

وبقي جعفر مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) ملازما له بعد هجرته من الحبشة في حضره
وسفره يتبعه اتباع الفصيل أثر أمه، أو الظل صاحبه، وأقره على عدة سرايا من غزواته، حتى آخر غزوة أمره عليها لمحاربة جيوش الروم في أرض البلقاء - أرض الشام - مع أميرين آخرين هما زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة رضوان الله عليهم.
فاستشهد هو ومن معه من الامراء وبعض المسلمين في أرض يقال لها: مؤتة، ودفنوا فيها، في حرب غير متكافئة عدة وعددا.
وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يخبر المسلمين بسير المعركة أولا فأول، كأنما يراها
رأي العين، حتى استشهد جعفر ووقع في ساحة القتال مضرجا بدمه مقطوع اليدين مع من قتل.
كما أخبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن الله تبارك وتعالى جعل لجعفر بن أبي طالب
جناحين يطير بهما في الجنة مع الملائكة.
وسماه (جعفر الطيار) أو (ذو الجناحين).
وسيأتي تفصيل وقائع الهجرة وسير معركة اليرموك تباعا إن شاء الله.
الهجرة إلى الحبشة:
لأرض الحبشة مميزات قد لا تحصل لغيرها من البلدان المجاورة، منها: كونها بعيدة عن نفوذ الفرس والروم وقريش، والتي لا يمكن للقرشيين أن يصلوا إليها على خيولهم أو رواحلهم، ولا يملكون السفن التي تستوعبهم لحملهم عبر البحر إلى سواحل الحبشة.
بالإضافة إلى سلامة شعبها من الشبهات، والمكر والدهاء التي عليها الروم

والفرس والعرب خاصة (قريش) منهم، فكانت أقرب للفطرة.
كما أن ملكها النجاشي، يمتاز بصفات حميدة، أهمها: العدل، والإحسان، وحسن السيرة.
لأجل ذلك، اختار الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) أرض الحبشة مهجرا للمؤمنين من
أصحابه، حيث أمرهم بالهجرة إليها، تخلصا من ظلم قريش واضطهادهم والاعتداء عليهم وتعذيبهم، خاصة الذين لا يجدون من يحميهم ويجيرهم.
قائلا لهم: " إن بها ملكا لا يظلم عنده أحد حتى يجعل الله لكم فرجا ومخرجا مما أنتم فيه ".
فخرجوا من مكة في شهر رجب من السنة الخامسة لمبعثه الشريف (صلى الله عليه وآله) في
غسق الليل خوفا من طواغيت قريش وعيونهم، خرجوا إلى ميناء جدة بطريقهم إلى الحبشة، وصادف أن بعض السفن التي كانت في طريقها إلى الحبشة راسية في ميناء جدة، فركبوا بها كما جاء في سيرة ابن هشام.
كان عدد المهاجرين في القافلة الأولى خمسة عشر إنسانا بين رجل وامرأة، وكان عليهم عثمان بن مظعون، وكان من بين المهاجرين عبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، ومصعب بن عمير، وسهيل بن بيضاء، وعبد الله بن مسعود، وغيرهم.
ومن الذين سافروا مع زوجاتهم: أبو سلمة بن عبد الأسد، مع زوجته
أم سلمة، التي تزوجها رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد وفاته، وأبو حذيفة بن عتبة بن الربيع
ومعه زوجته سهيلة بنت سهيل، وعامر بن أبي ربيعة ومعه زوجته ليلى العدوية، وغيرهم، كانت هذه القافلة هي الأولى التي هاجرت إلى الحبشة.
ولما نزلوا بأرض الحبشة، أكرم النجاشي وفادتهم فأقاموا مدة ثلاثة أشهر

أو أكثر في أمن وأمان يمارسون فيها أمور دينهم، ويعبدون ربهم بحرية، ولا يخشون أحدا، ولا يسمعون ما يكرهون، في ظل ملك عادل، يتوجه برعيته حيث يوجهه رشده وإنصافه ومصلحة بلاده.

والتحقت القافلة الثانية من المهاجرين بهم، وهذه المرة كانت أوسع من سابقتها، فقد بلغوا سبعة وثمانين رجلا وامرأة، منهم خمسة وسبعون رجلا واثنتا عشرة امرأة، ويسر الله لهم أسباب الهجرة بواسطة السفن التي كانت في طريقها من شواطئ جدة إلى سواحل أرض الحبشة.

وكان عليهم هذه المرة جعفر بن أبي طالب (عليه السلام)، ومعه زوجته أسماء بنت عميس، وكان معهم من وجوه المسلمين الذين ينتمون إلى قريش وغيرهم، ولم يكن غيره من بني هاشم، وقد وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله) كتابا إلى ملك الحبشة مع عمر

ابن أبي أمية الضمري، والتي جاء فيها ما معناه:

من محمد رسول الله، إلى النجاشي عظيم الحبشة - إلى أن قال -: " قد بعثت إليكم ابن عمي جعفر بن أبي طالب، معه نفر من المسلمين، فإذا جاؤوك فأقرهم... إلى آخر الكتاب.

وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن ابن إسحاق أن أبا طالب قال أبياتا للنجاشي يحضه على حسن جوار المسلمين والدفع عنهم، [ويدعوه إلى الإسلام ونصرة النبي]:

ليعلم مليك الحبش أن محمدا * نبي كموسى والمسيح بن مريم
أتانا بهدي مثل ما أتيا به * فكل بأمر الله يهدي ويعصم
وإنكم تتلونه في كتابكم * بصدق حديث لا حديث المبرجم
وإنك ما تأتيك منا عصابة * بفضلك إلا عادوا بالتكرم

فلا تجعلوا لله ندا وأسلموا * فإن طريق الحق ليس بمظلم
وفي هذا الشعر من التوحيد والإسلام ما لم يكن دفعه مسلم، وهو صريح في إسلام أبي طالب.
وما أن علم أبو طالب بإرسال قريش عمرو بن العاص، وعمارة بن الوليد، وعبد الله بن أبي ربيعة وفدا إلى النجاشي ليكيدوا جعفرا وأصحابه، بعث إلى النجاشي بهذه الأبيات، يحضه على حسن جوارهم والدفع عنهم:
ألا ليت شعري كيف في النأى جعفر * وعمرو وأعداء العدو الأقارب
فهل نال أفعال النجاشي جعفرا * وأصحابه أو عاق ذلك شاغب
تعلم أبيت اللعن أنك ماجد * كريم فلا يشقى لديك المجانب
تعلم بأن الله زادك بسطة * وأسباب خير كلها بك لازب
وإنك فيض ذو سجال غزيرة * ينال الأعادي نفعها والأقارب
وجاءت إلى المهاجرين في الحبشة الأخبار بزوال عهد المحنة، ومهادنة قريش للمسلمين، وتركهم إيذاء المسلمين، ويصنعون ما يشاؤون، فصدق بعضهم واختار العودة إلى مكة، والعيش في بلاده مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأصحابه، وتركوا بلاد
الحبشة وهم يحملون لأهلها أطيب الذكر والشكر.
ولما رجع عثمان بن مظعون مع من رجع من الحبشة إلى مكة، فوجئ بأن الأمر لا يزال بيد المشركين، والنبي (صلى الله عليه وآله) لا يزال على حاله في محنته، بل أسوأ
مما كان عليه (صلى الله عليه وآله)، فدخل مكة بجوار الوليد بن المغيرة، كما دخل أبو سلمة
عبد الأسد وزوجته بجوار خاله أبي طالب، وتسلل الباقون إلى مكة مختفين خوفا من بطش طغاة قريش.
واستيقظت قريش على أنباء تلك الهجرة، وقدرت أن هؤلاء سيكونون

النواة الأولى لدعاة الإسلام في بلد يؤمن بالنصرانية، وقد ترامى إلى أسماع قريش أن بعض آثارها تبشر بظهور نبي عربي، وخشيت أن يوجه المسلمون نشاطهم إلى تلك البلاد فيبشرون بالإسلام فيها، ويصبحون قوة لا طاقة لهم بها، وقريش تعرف وتعلم أن للإسلام قواعده وقوته وتأثيره على النفوس.

عز على قريش أن يجد المهاجرون الفارون بدينهم من عذابها الأمان وطيب الإقامة، فأغرتهم كراهيتهم للإسلام أن يبعثوا وفدا من شياطين قريش (١) مزودا بالهدايا والتحف للنجاشي والبطارقة وحاشيته، وكان الوفد مؤلفا من عمرو بن العاص، وعبد الله بن ربيعة، وعمارة بن الوليد بن المغيرة، كما نص على ذلك جماعة من المؤرخين في السير.

وقد حدثت فيما بينهم في الطريق وفي الحبشة مسائل لا أخلاقية، يترفع الإنسان عن ذكرها، راجع السير لتكشف عن جيف تزكم الأنوف (٢)، وللتأريخ وكشف الحقائق نذكر جانبا منها فيما بعد.

وقد ذكر المؤلفون في السيرة عن أم المؤمنين أم سلمة (٣)، وكانت من المسلمات

---

(١) المرة الأولى: عمرو بن العاص، وعبد الله بن أبي ربيعة.
والمرة الثانية بعد اندحارهم في بدر: عمرو بن العاص، وعمارة بن الوليد.
هذا ما روي وما استنتجته من سير مطالعاتي، والله العالم.

(٢) ذكر ذلك العلامة المجلسي في بحاره ١٨: ٤١٢، والأمين في أعيانه ٤: ١٢١.

(٣) أم سلمة، اسمها هند بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومي، غلبت عليها كنيتها، وكان زوجها عبد الله بن عبد الأسد المخزومي الذي هاجرت معه، وهو ابن أخت أبي طالب، وبعد وفاته تزوجها رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فكانت خير زوجة بعد السيدة خديجة، راسخة الإيمان، ثابتة القدم،
رضي الله عنها.

المهاجرات إلى أرض الحبشة مع زوجها أبو سلمة يوم ذاك، قالت: إن وفد قريش خرج من مكة وقدم على النجاشي في أرض الحبشة، ونحن عنده بخير دار عند خير جار، فوزع الهدايا التي جاء بها على البطارقة وحاشية الملك، وقالوا لكل من أهدوا إليه شيئا: قد لجأ إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين آبائهم وقومهم ولم يدخلوا في دينكم، وجاؤوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا فيهم أشراف قومهم إلى الملك ليردوهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم، فإن قومهم أعرف بهم وأعلم بما عابوا عليهم، فوعدهم البطارقة والحاشية خيرا.

ثم إنهم قدموا إلى الملك هديته فقبلها منهم، ثم تحدثوا معه بالمهمة التي جاؤوا من أجلها بما تحدثوا به مع بطارقته وحواشيه، ورجح البطارقة للملك أن يسلمهم اللاجئين ويردهم إلى قومهم وبلادهم، فلم يستجب لهم النجاشي وقال: والله لا أصنع شيئا حتى أدعوهم وأنظر في أمرهم، فإن كانوا كما يقولون سلمتهم لهم، وإن كانوا على غير ذلك أحسنت جوارهم ما داموا في جواري.

وأرسل النجاشي إلى المسلمين واستدعاهم إليه، فلما حضروا مجلسه اتجه إليهم وقال: ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم؟ ولم تدخلوا في ديننا ولا في دين أحد هذه الملل؟

فتولى الجواب عن المسلمين جعفر بن أبي طالب.

فقال جعفر: أيها الملك، سلهم: أعبيد لهم نحن؟

قالوا: لا.

فقال الملك: ألكم عليهم دين؟

قالوا: لا.

فقال: هل قتلوا منكم قتيلا؟
قالوا: لا.
فقال ما معناه: إذا ما لكم عليهم شئ، فخلوا سبيلهم.
فقال جعفر: أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسئ الجوار، ويظلم القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفته، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الإمامة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والصيام وأداء الزكاة. ومضى جعفر بن أبي طالب يحدثه عن أصول الإسلام وفروعه، إلى أن قال: فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله تعالى، فلم نشرك بالله، وأحللنا ما أحل لنا، وحرمنا ما حرم علينا، فعدا علينا قومنا وعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأصنام والأوثان من دون الله، ولنستحل ما كنا نستحله من الخبائث، فلما ضيقوا علينا وعذبونا وقهرونا خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك.
فقال النجاشي: هل معك شئ مما جاء به من الله؟
فقال جعفر: نعم.
قال: فاقرأه علي. فقرأ عليه شيئا من سورة الكهف.
فبكى النجاشي، وبكى معه الأساقفة، ثم قال: إن هذا والذي جاء به عيسى

ابن مريم يخرج من مشكاة واحدة. ثم التفت إلى وفد قريش وقال لهما: انطلقا فلا والله لا أسلمهم لكما.

قالت أم سلمة: فلما خرج عمرو بن العاص ومن معه من عنده، قال: والله لآتينه غدا عنهم بما أستأصل به خضراءهم. فقال له عبد الله بن أبي ربيعة، وكان أتقى منه: لا تفعل، فإن لهم أرحاما وإن كانوا قد خالفونا. قال ابن العاص: والله لأخبرنه عنهم أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد.

ثم غدا عليه في اليوم الثاني وقال له: أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولا عظيما، فأرسل إليهم واسألهم ما يقولون فيه. فأرسل إليهم النجاشي ليسألهم عما يقولون في عيسى بن مريم (عليه السلام).

فلما دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون في عيسى؟ قال جعفر بن أبي طالب: نقول فيه ما جاء به نبينا: إنه عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول. فلما سمع النجاشي ذلك ضرب بيده على الأرض، فأخذ منها عودا وقال: ما عدا عيسى بن مريم ما قلت. فتناخرت بطارقته حوله حين قال ذلك.

فقال لهم: وإن نخرتم. وقال للمسلمين: إذهبوا فأنتم آمنون في أرضي، من سبكم غرم، وما أحب أن لي ديرا من ذهب (١) وأني آذيت أحدا منكم.

وفي المسند من حديث علي رفعه: أعطيت رفقاء نجباء. فذكره منهم.

وهاجر جعفر إلى الحبشة فأسلم النجاشي ومن تبعه على يديه (٢).

وكل ذلك مشهور في المغازي بروايات متعددة وصحيحة.

---

(١) الدير بلغة الحبشة: الجبل.

(٢) الإصابة ١: ٤٨٦.

ثم التفت إلى غلمانه وقال: ردوا عليهم هداياهم فلا حاجة لي بها، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي، حتى آخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس في حتى أطيعهم فيه.

فخرج عمرو بن العاص ومن معه من مجلس النجاشي يجرون أذيال الخيبة مردودا عليهم ما جاؤوا به، وقالت أخيرا السيدة أم سلمة: وأقمنا عنده بخير دار مع خير جوار، حتى قيض الله لنا وسهل أمرنا وعدنا إلى أهلنا وديارنا، بالقرب من الرسول (صلى الله عليه وآله).

يروى أن قريشا أرسلت وفدين إلى الحبشة، والمرجح أن الوفد الأول كان في السنة السادسة من مبعثه الشريف، وكان الوفد مؤلفا من عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد، والوفد الثاني كان بعد اندحار قريش وهزيمتهم في بدر، حينما رجعا خائبين بخفي حنين.

أرسلت قريش وفدها لكيد المسلمين والانتقام منهم، وهم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة.

أما خبر ذهاب عمرو بن العاص، وعمارة بن الوليد إلى أرض الحبشة حسبما ذكره المجلسي في بحار الأنوار، والسيد محسن الأمين في أعيان الشيعة وغيرهم من المؤرخين، كما روى ذلك ابن إسحاق في المغازي، قائلا: كان عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص قد خرجا إلى الحبشة موفدين من قبل قريش، بعد مبعث النبي (صلى الله عليه وآله)، وهما على شركهما، وكان عمارة رجلا جميلا تهواه النساء (١)، فركبا

---

(١) عمارة بن الوليد أخ خالد بن الوليد، هو الذي جاءت قريش به إلى أبي طالب، وقالوا: جئناك بفتى قريش جمالا ونسبا، يكون لك نصره وميراثه، وتدفع إلينا ابن أخيك نقتله. فقال أبو طالب: والله ما أنصفتموني، تعطوني ابنكم أغذيه لكم، وأعطيكم ابن أخي تقتلوه؟؟

البحر، وكان مع عمرو زوجته فأصابا من خمريهما، فلما انتشى عمارة قال لامرأة عمرو: قبليني. فقال لها عمرو: قبلي ابن عمك. فقبلته، وجعل عمارة يراودها عن نفسها فامتنعت منه، وجلس عمرو على منجاف السفينة يبول، فدفعه عمارة في البحر، فسبح حتى أخذ مجذاف السفينة وصعد، فقال له عمارة: والله لو علمت أنك سابح ما طرحتك، لكني ظننت أنك لا تحسن السباحة. فظغن عمرو عليه، وعلم أنه يريد قتله ليخلو بامرأته.

فلما وصلا أرض الحبشة لم يلبث عمارة أن دب إلى امرأة للنجاشي وجعل إذا رجع من عندنا يخبر عمرو بما كان من أمره معها، فيقول عمرو: لا أصدقك، إن شأن هذه المرأة أرفع من ذلك، وهو يعلم صدقه، ولكنه يريد الوقيعة به، وأن يأتيه بشئ لا يستطيع دفعه إن هو رفع شأنه إلى النجاشي.

فقال له: إن كنت صادقا فقل لها فلتدهنك بدهن النجاشي، الذي لا يدهن به غيره، فإني أعرفه، وآتني بشئ منه. فسألها ذلك فدهنته منه وأعطته شيئا في قارورة فلما شمه عرفه، فسكت عنه حتى اطمأن ودخل على النجاشي فقال له:

أيها الملك، إن معي سفيها من سفهاء قريش وأردت أن أعلمك بشأنه، وأن لا أرفع ذلك إليك حتى أثبته، وأنه قد دخل على بعض نسائك، وهذا دهنك قد أعطته إياه، وادهن به.

فلما شمه النجاشي قال: صدقت هذا دهني الذي لا يكون إلا عند نسائي، فدعا بعمارة، ودعاة نسوة اخر فجردوه من ثيابه [فضرب بالسياط] إلى آخر ما ورد في الخبر.

وبرواية الحاكم في المستدرك بسنده عن أبي موسى، قال: أمرنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن ننطلق إلى أرض النجاشي [الحبشة] فبلغ ذلك قريشا فبعثوا

عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد، وجمعوا للنجاشي هدايا، فقدمنا، وقدموا على النجاشي فأتوه بهدية فقبلها، وسجدوا له، ثم قال عمرو بن العاص: إن قوما منا رغبوا عن ديننا وهم في أرضك. فقال لهم النجاشي: في أرضي؟ قال: نعم. فبعث إلينا، فقال لنا جعفر: لا يتكلم منكم أحد، أنا خطيبكم اليوم، فانتهينا إلى النجاشي وهو جالس في مجلسه، وعمرو بن العاص عن يمينه، وعمارة بن الوليد عن يساره، والقسيسون والرهبان جلوس سماطين، فقال له عمرو وعمارة: إنهم لا يسجدون لك. فلما انتهينا إليه زبرنا – أي بدرنا – من [كان] عنده من القسيسين والرهبان: اسجدوا للملك. فقال جعفر: لا نسجد إلا لله.

فقال له النجاشي: وما ذاك؟ قال جعفر: إن الله بعث فينا رسوله وهو

الرسول الذي بشر به عيسى بن مريم، بشر برسول يأتي من بعده اسمه أحمد، فأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئا، ونقيم الصلاة، ونؤتي الزكاة، وأمرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر.

فأعجب النجاشي قول [جعفر]، فلما رأى ذلك عمرو قال: أصلح الله

الملك، إنهم يخالفونك في عيسى بن مريم. فقال النجاشي لجعفر: ما يقول صاحبك في

ابن مريم؟

قال: يقول فيه قول الله، هو روح الله وكلمته، أخرجه من البتول العذراء،

لم يقربها بشر. فتناول النجاشي عودا من الأرض فرفعه وقال: يا معشر القسيسين والرهبان، ما يزيد هؤلاء على ما تقولون أو (ما نقول) في ابن مريم ما يزن هذه – أي: ولا وزن هذه –.

مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده، وأنا أشهد أنه رسول الله، وأنه الذي بشر به

عيسى بن مريم (عليه السلام)، ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى اقبل نعله، امكثوا في

أرضي ما شئتم. وأمر لنا بطعام وكسوة، وقال: ردوا على هذين هديتهما، فوالله
لا أسلمهم إليكما ولا أكيد لهم.
ثم قال لجعفر وأصحابه: اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي - والسيوم: الآمنون -
من مسكم غرم، قالها ثلاث مرات، ما أحب أن لي دير ذهب وأني آذيت رجلا
منكم - الدير بلسان الحبشة الجبل (١) -.
وفي المسند من حديث علي (عليه السلام) رفعه: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):
أعطيت رفقاء
نجباء: فذكر منهم، وهاجر جعفر إلى الحبشة فأسلم النجاشي ومن تبعه على يديه،
كل ذلك مشهور في المغازي بروايات متعددة صحيحة.
قال ابن أبي الحديد: روي عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) أنه قال: لقد كاد
عمرو بن العاص عمنا جعفرا بأرض الحبشة عند النجاشي وعند كثير من رعيته
بأنواع الكيد، فردها الله تعالى عنه بلطفه - إلى أن قال -: وما زال ابن الجزار عدوا
لنا أهل البيت.
وفي الدرجات الرفيعة، عن جابر بن عبد الله: لما قدم جعفر من أرض
الحبشة أعطاه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأعطى امرأته أسماء بنت عميس من
غنائم خيبر،
وقال: أشبهت خلقي وخلقي.
حتى أن النجاشي أرسل وفدا من قبله إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) مكون من
سبعين
قسيسا وراهبا مع ولده (رآها) للإعلان عن إسلامهم، ولكنهم غرقوا في البحر قبل
أن يصلوا سواحل جدة، وقد عزاه رسول الله (صلى الله عليه وآله) بذلك، تجد الكتاب
مع كتب
الرسول (صلى الله عليه وآله) للشيخ علي الأحمدي.

----
(١) حلية الأولياء ١: ١١٥، طبعة بيروت.

مقتل جعفر الطيار:
قتل جعفر بن أبي طالب (عليه السلام) شهيدا في غزوة مؤتة بأرض البلقاء، في جمادى الأول سنة ثمان من الهجرة.
وكان سببها فيما رواه الواقدي: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعث الحارث بن عمير
الأزدي سنة ثمان من الهجرة إلى ملك بصرى بكتاب، فلما نزل مؤتة، عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني (١) فقال: أين تريد؟ قال: الشام. قال: لعلك من رسل محمد؟ قال: نعم. فأمر به فأوثق رباطا، ثم قدمه فضرب عنقه، ولم يقتل لرسول الله (صلى الله عليه وآله) رسول غيره، فبلغ ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله) فاشتد غضبا لمقتله، وندب
الناس وأخبرهم بمقتل الحارث، فأسرعوا وخرجوا وعسكروا بالجرف، فأمر عليهم جعفر بن أبي طالب، فإن قتل فزيد بن حارثة، فإن قتل فعبد الله بن رواحة.
هذا في رواية أبان بن عثمان عن الإمام الصادق (عليه السلام)، ويدل عليه شعر حسان بن ثابت، وشعر كعب بن مالك الآتيين في رثاء جعفر وأصحابه، حيث يقول حسان:

غداة غدوا بالمؤمنين يقودهم * إلى الموت ميمون النقيبة أزهر
أغر كضوء البدر من آل هاشم * أبي إذا سيم الظلام أصعر

ويقول كعب:

إذ يهتدون بجعفر ولوائه * قدام أولهم ونعم الأول

---

(١) أحد قواد جيش الروم (هرقل).

والاعتبار يقضي ذلك، فلم يكن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليؤمر عليهم غير جعفر، مع
كفاءته وكونه أهلا للإمارة وتفوقه على الآخرين في الشجاعة والإخلاص، كما يدل عليه ما في الاستيعاب، لكنما أهل الأهواء من المؤرخين أو غيرهم يعز عليهم أن يقدم هذا الجيش أخو علي بن أبي طالب، فقدموا زيدا عليه، ولو أننا لا نبخس حق الشهيد زيد ومجده وعزه وقربه وشجاعته، وكذلك الشهيد عبد الله بن رواحة.
ولكن لجعفر ميزات في نفس الرسول (صلى الله عليه وآله) لا يضاهيها غيره.
قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): مثل لي جعفر، وزيد، وابن رواحة في خيمة من در كل
واحد منهم على سرير، فرأيت زيدا وابن رواحة في أعناقهما صدودا، ورأيت جعفر مستقيما ليس فيه صدود، قال: فسألت، أو قيل لي: إنهما حين غشيهما الموت أعرضا أو كأنهما صدا بوجوههما، وأما جعفر فإنه لم يفعل.
ومع ذلك فيقول ابن أبي الحديد: اتفق المحدثون على أن زيد بن حارثة كان هو الأمير الأول، فإن قتل فجعفر، فإن قتل فعبد الله بن رواحة، قال: وأنكرت الشيعة ذلك وقالوا: كان جعفر بن أبي طالب هو الأمير الأول، فإن قتل فزيد، فإن قتل فعبد الله، ورووا في ذلك روايات وقد وجدت في الأشعار التي ذكرها محمد بن إسحاق في كتاب المغازي ما يشهد لقولهم، ثم ذكر ابن أبي الحديد قصيدة حسان وأبيات كعب التي مرت، وهي تشير إلى أن القائد الأول جعفر.
وقال الواقدي: ودفع اللواء إلى أميرهم، وهو لواء أبيض، ومشى الناس إلى جعفر وأصحابه يودعونهم وكانوا ثلاثة آلاف.
وروى الواقدي بسنده: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) خرج مشيعا لأهل مؤتة حتى
بلغ ثنية الوداع، وإنه خطبهم وأوصاهم فقال: أوصيكم بتقوى الله وبمن معكم من المسلمين خيرا، اغزوا بسم الله وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، لا تغدروا

ولا تغلوا ولا تقتلوا وليدا، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث، فأيهن أجابوك إليها فاقبل منهم واكفف عنهم، إلى آخر حديثه (١).

قال الواقدي: ومضى المسلمون فنزلوا وادي القرى وأقاموا به أياما وساروا حتى نزلوا بمؤتة وبلغهم أن هرقل ملك الروم قد نزل ماء من مياه البلقاء، في جيش من بني بكر وبهراء ولخم وجذام وغيرهم من الروم في مائة ألف مقاتل من العرب عليهم رجل من (بلى) يقال له مالك، فأقام المسلمون ليلتين ينظرون في أمرهم، وقالوا: نكتب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فنخبره الخبر، فإما أن يردنا أو يزيدنا، فشجعهم

عبد الله بن رواحة وقال: والله ما كنا نقاتل الناس بكثرة العدد، ولا كثرة سلاح، ولا كثرة خيل، إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، انطلقوا فقاتلوا فقد والله رأيتنا يوم بدر وما معنا إلا فرسان، إنما هي إحدى الحسنيين إما الظهور عليهم فذاك ما وعدنا الله ورسوله، وليس لوعده خلف، وإما الشهادة. فاستجمع الناس على قوله.

قال ابن إسحاق: ثم مضى الناس حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها (مشارف) ثم تقدم العدو وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها: مؤتة، فالتقى الجمعان عندها.

قال ابن إسحاق في المغازي، وأبو فرج في مقاتل الطالبيين: وتعبأ المسلمون فجعلوا على ميمنتهم رجلا من عذرة يقال له: قطبة بن قتادة، وعلى ميسرتهم رجلا من الأنصار يقال له: عبادة أو عبادية بن مالك، فالتقى الناس فاقتتلوا وأخذ اللواء جعفر بن أبي طالب وقاتل قتالا شديدا حتى إذا ألجمه القتال اقتحم عن فرس له

---

(١) ذكرها مفصلا السيد محسن الأمين في أعيان الشيعة ٤: ١٢٤.

شقراء فعقرها، أو عرقبها، فكان أول رجل عقر فرسه في الإسلام، ثم قاتل وهو يقول:
يا حبذا الجنة واقترابها * طيبة وبارد شرابها
والروم روم قد دنا عذابها * كافرة بعيدة أنسابها
علي إذ لاقيتها ضرابها
ثم هجم على الروم وقاتل قتال الأبطال، وأبلى بلاء حسنا حتى قطعت يده اليمنى فأخذ الراية بيده اليسرى، وقاتل إلى أن قطعت يده اليسرى أيضا فاعتنق الراية وضمها إلى صدره حتى قتل ووجد به نيف وسبعون - وقيل: نيف وثمانون - جرحا بين طعنة رمح وضربة سيف ورمية سهم.
وقال البلاذري: قطعت يداه، ولذلك قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): لقد أبدله الله بهما
جناحين يطير بهما في الجنة حيث يشاء مع الملائكة، ولذلك سمي بجعفر الطيار أو ذو الجناحين.
ثم أخذ الراية زيد بن حارثة، فقاتل حتى قتل طعنا بالرماح، ثم أخذ الراية
من بعده عبد الله بن رواحة، وقاتل حتى قتل، وبعدها انهزم المسلمون أسوأ هزيمة وتراجعوا، فأخذ اللواء ثابت بن أرقم، ثم أعطاه خالد بن الوليد فحمل به ساعة، وجعل المشركون يحملون عليه، فلما رأى خالد جموعهم، انحاز بالمسلمين وانكشفوا راجعين.
قال الواقدي: وقد روي أن خالدا ثبت، والصحيح أنه انهزم بالناس حتى
عيروا بالفرار وتشاءم الناس به، فلما سمع أهل المدينة بهم تلقوهم بالجرف، فجعلوا يحثون في وجوههم التراب ويقولون: يا فرار، أفررتم في سبيل الله، حتى أن الرجل منهم ينصرف إلى بيته وأهله فيدق عليهم فيأبون أن يفتحوا له الباب،

وجلس الكبراء منهم في بيوتهم استحياء من الناس، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لتطييب
نفوسهم: ليسوا بالفرار، ولكنهم كرار إن شاء الله.
روى الواقدي بسنده عن أسماء بنت عميس قالت: أصبحت في اليوم الذي
أصيب فيه جعفر وأصحابه، فأتاني رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأخذت ابني فغسلت وجوههم
ودهنتم، فدخل علي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقال: يا أسماء، أين بنو جعفر؟ فجئت بهم
إليه فضمهم، وشمهم ثم ذرفت عيناه فبكى، فقلت: يا رسول الله، لعله بلغك عن
جعفر شئ. قال: نعم، إنه قتل اليوم. فقمت أصيح، واجتمع إلي النساء، فجعل
رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: يا أسماء، لا تقولي هجرا، ولا تضربي صدرا. ثم خرج حتى
دخل على ابنته فاطمة وهي تبكي وتقول: وا عماه، فقال: على مثل جعفر فلتبك
الباكية، ثم قال: اصنعوا لآل جعفر طعاما، فقد شغلوا بأنفسهم اليوم، فأصبحت سنة.
وروى الواقدي بسنده عن عبد الله بن جعفر أنه قال: أنا أحفظ حين دخل
النبي (صلى الله عليه وآله) على أمي فنعى إليها أبي، فأنظر إليه وهو يمسح على رأسي ورأس أخي،
وعيناه تهرقان بالدمع حتى قطرت على لحيته، ثم قال: اللهم إن جعفرا قدم إلى
أحسن الثواب، فاخلفه في ذريته بأحسن ما خلفت أحدا من عبادك في ذريته.
ثم قال: يا أسماء، ألا أبشرك؟ قالت: بلى بأبي وأمي. قال: فإن الله جعل
لجعفر جناحين يطير بهما في الجنة. قالت: بأبي وأمي، فأعلم الناس ذلك. فقال
رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأخذ بيدي - أي بيد عبد الله بن جعفر - يمسح بيده رأسي حتى رقى
على المنبر وأجلسني أمامه على درجة السفلى، وإن الحزن ليعرف عليه. فتكلم
فقال: إن المرء كبير بأخيه وابن عمه، ألا إن جعفرا قد استشهد وقد جعل الله له
جناحين يطير بهما في الجنة، ثم نزل فدخل بيته وأدخلني، وأمر بطعام فصنع لنا،

وأرسل إلى أخي فتغدينا عنده غداء طيبا.
وقال: وأتاني رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد ذلك وأنا أساوم في شاة، فقال: اللهم
بارك له في صفقته، فوالله ما بعت شيئا ولا اشتريت إلا بورك فيه.
ما روي في فضل جعفر:
في شرح النهج لابن أبي الحديد، وقد روى في الحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله): سادة
أهل المحشر، سادة أهل الدنيا: أنا وعلي وحسن وحسين وحمزة وجعفر.
وفي مقاتل الطالبيين، بسنده عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن
جده (عليهم السلام)، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): خلق الناس من أشجار شتى، وخلقت أنا وجعفر
من طينة واحدة. وفي رواية: من شجرة واحدة.
وعن أبي سعيد الخدري: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): خير الناس: حمزة وجعفر
وعلي (عليهم السلام).
وعن علي (عليه السلام): إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لجعفر بن أبي طالب: أشبهت خلقي
وخلقي.
عن عبد الله بن عباس قال: لما قدم جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة،
اعتنقه النبي (صلى الله عليه وآله) وقبل بين عينيه، وقال: جعفر أشبه الناس بي خلقا وخلقا،
ثم قال: يا جعفر، ما أعجب ما رأيت بأرض الحبشة؟ قال: يا رسول الله، بينا
أنا أمشي بين أزقتها، إذا سوداء على رأسها مكتل فيه بر فصدمها رجل على دابته
فوقع مكتلها وتنثر برها، وأقبلت تجمعه من التراب وهي تقول: ويل للظالم
من ديان يوم الدين، ويل للظالم من المظلوم يوم القيامة، ويل للظالم إذا وضع
الكرسي للفصل يوم القيامة. فقال النبي (صلى الله عليه وآله): لا يقدس الله أمة لا يأخذ ضعيفها

من قويها حقه غير متعتع.
وفي الاستيعاب بسنده عن أبي هريرة: ما احتذى النعال، ولا ركب المطايا،
ولا وطئ التراب بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) أفضل من جعفر بن أبي طالب.
وكفى جعفر بن أبي طالب فخرا قول رسول الله (صلى الله عليه وآله): أشبهت خلقي
وخلقي،
وفضل جعفر أظهر من الشمس في رابعة النهار، لا يحتاج إلى شهادة أحد. وقد
هاجر الهجرتين، وكانت له في هجرة الحبشة المقامات المشهودة، وثباته يوم مؤتة،
فأي شهادة تعدل شهادته، وأي جهاد يماثل جهاده.
مراثيه:
اختلف الرواة في تحديد عمر جعفر بن أبي طالب عند مقتله في سنة ثمانية
من الهجرة، وأقرب للصواب قتل جعفر وعمره حوالي أربعين عاما، وعن الزبير
ابن بكار، في الاستيعاب كانت سن جعفر بن أبي طالب يوم قتل إحدى وأربعين
سنة.
عن مجالد عن الشعبي قال: سمعت عبد الله بن جعفر يقول: كنت إذا سألت
عمي عليا شيئا فمنعني، قلت بحق جعفر، أعطاني (١).
عن علي (عليه السلام): قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): لم يكن قبلي نبي إلا قد
أعطي سبعة
رفقاء نجباء وزراء، وإني أعطيت أربعة عشر، منهم: حمزة وجعفر وعلي وحسن
وحسين وسلمان وعمار والمقداد... إلى آخره (٢).

---

(١) الاستيعاب: ٢١٢.
(٢) أسد الغابة ١: ٣٤٢.

جعفر الطيار (١)

أقبل جعفر على الرسول (صلى الله عليه وآله) مسلما، آخذا مكانه العالي بين المؤمنين المبكرين.

وأسلمت معه في نفس اليوم زوجته (أسماء بنت عميس).

وحملا نصيبهما من الأذى، ومن الاضطهاد في شجاعة وغبطة.

فلما اختار الرسول لأصحابه الهجرة إلى الحبشة، خرج جعفر وزوجته

حيث لبثا بها سنين عددا، رزقا خلالها بأولادهما الثلاثة – محمد، وعبد الله، وعوف –.

وفي الحبشة كان جعفر بن أبي طالب المتحدث اللبق، الموفق باسم الإسلام ورسوله.

ذلك أن الله أنعم عليه – فيما أنعم – بذكاء القلب، وإشراق العقل، وفطنة النفس، وفصاحة اللسان.

ولئن كان يوم (مؤتة) الذي سيقاتل فيه فيما بعد حتى يستشهد... أروع أيامه وأمجدها وأخلدها.

فإن يوم (المحاورة) التي أجراها أمام النجاشي بالحبشة، لن يقل روعة، ولا بهاء، ولا مجدا.

لقد كان يوما فذا، ومشهدا عجبا.

* * *

----

(١) من كتاب (رجال حول الرسول).

وذلك أن قريشا لم يهدئ من ثورتها، ولم يذهب من غيظها، ولم يطامن من أحقادها، هجرة المسلمين إلى الحبشة، بل خشيت أن يقوى هناك بأسهم، ويتكاثر جمعهم... وحتى إذا لم تؤاتهم فرصة التكاثر والقوة، فقد عز على كبريائها أن ينجو هؤلاء من نقمتها، ويفلتوا من قبضتها... ويظلوا هناك في مهاجرتهم أملا رحبا تهتز له نفس الرسول، وينشرح له صدر الإسلام.

هنالك قرر سادتها إرسال مبعوثين إلى النجاشي يحملان هدايا قريش النفيسة، ويحملان رجاءها في أن يخرج من بلاده هؤلاء الذين جاءوا إليها لائذين ومستجيرين...

وكان هذان المبعوثان: عبد الله بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص، من قبل المشركين.

* * *

كان (النجاشي) الذي يجلس على عرش الحبشة، رجلا يحمل إيمانا مستنيرا... وكان في قرارة نفسه يعتنق مسيحية صافية واعية، بعيدة من الانحراف، نائية عن التعصب والانغلاق..

وكان ذكره يسبقه.. وسيرته العادلة، تنشر عبيرها في كل مكان بلغه..

من أجل هذا، اختار الرسول (صلى الله عليه وآله) بلاده دار هجرة لأصحابه..

ومن أجل هذا، خافت قريش ألا تبلغ لديه ما تريد فحملت مبعوثيها هدايا ضخمة للأساقفة، وكبار رجال الكنيسة هناك، وأوصى زعماء قريش مبعوثيهم ألا يقابلا النجاشي حتى يعطيا الهدايا للبطارقة أولا، وحتى يقنعاهم بوجهة نظرهما، ليكونوا لهما عونا عند النجاشي.

وحط المبعوثان رحالهما بالحبشة، وقابلا بها الزعماء الروحانيين كافة، ونثرا

بين أيديهم الهدايا التي حملاها إليهم.. ثم أرسلا للنجاشي هداياه.
ومضيا يوغران صدور القسس والأساقفة ضد المسلمين المهاجرين،
ويستنجدان بهم لحمل النجاشي على إخراجهم من بلاده.
وحدد يوم يلقيان فيه النجاشي، ويواجهان بين يديه خصوم قريش الذين تلاحقهم بكيدها وأذاها.

* * *

وفي وقار مهيب، وتواضع جليل، جلس (النجاشي) على كرسيه العالي، تحف به الأساقفة ورجال الحاشية، وجلس أمامه في البهو الفسيح، المسلمون المهاجرون، تغشاهم سكينة الله، وتظلهم رحمته.. ووقف مبعوثا قريش يكرران الاتهام الذي سبق أن ردداه أمام (النجاشي) حين أذن لهم بمقابلة خاصة قبل هذا الاجتماع الحاشد الكبير:

" أيها الملك.. إنه قد ضوي إلى بلدك غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك، بل جاءوا بدين ابتدعوه، لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم، وأعمامهم، وعشائرهم، لتردهم إليهم "...

وولى النجاشي وجهه شطر المسلمين، ملقيا عليهم سؤاله:

" ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم، واستغنيتم به عن ديننا "..؟

ونهض (جعفر) قائما.. ليؤدي المهمة التي كان المسلمون المهاجرون قد اختاروه لها إبان تشاورهم، وقبل مجيئهم إلى هذا الاجتماع..

نهض (جعفر) في تؤدة وجلال، وألقى نظرات محبة على الملك الذي أحسن جوارهم وقال:

[يا أيها الملك...
" كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش،
ونقطع الأرحام، ونسئ الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف.. حتى بعث الله إلينا
رسولا منا، نعرف نسبه، وصدقه، وأمانته، وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده،
ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان...
" وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار،
والكف عن المحارم والدماء..
" ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات..
فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاءه من ربه، فعبدنا الله وحده ولم نشرك به
شيئا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا. فعدا علينا قومنا، فعذبونا
وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان، وإلى ما كنا عليه من الخبائث...
" فلما قهرونا، وظلمونا، وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا
إلى بلادك ورغبنا في جوارك، ورجونا ألا نظلم عندك]...
* * *

ألقى (جعفر) بهذه الكلمات المسفرة كضوء الفجر، فملأت نفس النجاشي
إحساسا وروعة.. والتفت إلى (جعفر) وسأله:
" هل معك مما انزل على رسولكم شئ "..؟؟
قال جعفر: نعم..
قال النجاشي: فاقرأه علي..
ومضى (جعفر) يتلو آيات من سورة مريم، في أداء عذب، وخشوع آسر..
فبكى النجاشي.. وبكى معه أساقفته جميعا..

ولما كفكف دموعه الهاطلة الغزيرة، التفت إلى مبعوثي قريش، وقال:
[إن هذا، والذي جاء به عيسى، ليخرج من مشكاة واحدة... انطلقا فلا والله، لا أسلمهم إليكما]...!!

انفض الجمع، وقد نصر الله عباده وآزرهم، بينما رزئ مندوبا قريش بهزيمة منكرة...

لكن (عمرو بن العاص) كان داهية واسع الحيلة، لا يتجرع الهزيمة، ولا يذعن لليأس بسهولة.

وهكذا لم يكد يعود مع صاحبه إلى نزلهما، حتى يفكر ويدبر، وقال لزميله:

" والله لأرجعن للنجاشي غدا، ولآتينه عنهم بما يستأصل خضراءهم "...

وأجابه صاحبه: " لا تفعل، فإن لهم أرحاما، وإن كانوا قد خالفونا "...

قال عمرو: " والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد، كبقية العباد "... هذه إذن هي المكيدة الجديدة التي دبرها مبعوث قريش للمسلمين.

* * *

وفي الغداة أغذا السير إلى مقابلة الملك، وقال له عمرو:

" أيها الملك، إنهم ليقولون في عيسى قولا عظيما "...

واضطرب الأساقفة...

واهتاجتهم هذه العبارة القصيرة...

ونادوا بدعوة المسلمين – مرة أخرى – لسؤالهم عن موقف دينهم من المسيح...

وعلم المسلمون بالمؤامرة الجديدة، فجلسوا يتشاورون...

ثم اتفقوا على أن يقولوا الحق الذي سمعوه من نبيهم عليه الصلاة والسلام،
لا يحيدون عنه قيد شعرة، وليكن ما يكون..!!
وانعقد الاجتماع من جديد، وبدأ النجاشي الحديث سائلا جعفر:
[ماذا تقولون في عيسى]..؟؟
ونهض جعفر مرة أخرى كالمنار المضئ وقال:
[نقول فيه ما جاءنا به نبينا (صلى الله عليه وآله): هو عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى
مريم، وروح منه]...
فهتف النجاشي مصدقا ومعلنا أن هذا هو ما قاله المسيح عن نفسه...
لكن صفوف الأساقفة ضجت بما يشبه النكير...
ومضى النجاشي المستنير المؤمن يتابع حديثه قائلا للمسلمين:
[اذهبوا، فأنتم آمنون بأرضي، ومن سبكم أو آذاكم، فعليه غرم ما يفعل]..
ثم التفت صوب حاشيته، وقال وسبابته تشير إلى مبعوثي قريش:
[ردوا عليهما هداياهما، فلا حاجة لي بها..
" فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي، فآخذ الرشوة فيه]...!!
وخرج مبعوثا قريش مخذولين، حيث وليا وجهيهما من فورهما شطر مكة عائدين إليها...
وخرج المسلمون بزعامة (جعفر) ليستأنفوا حياتهم الآمنة في الحبشة، لابثين
فيها كما قالوا: " بخير دار... مع خير جار.. " حتى يأذن الله لهم بالعودة إلى رسولهم وإخوانهم وديارهم..
كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يحتفل مع المسلمين بفتح (خيبر) السنة السابعة من
الهجرة حين طلع عليهم قادما من الحبشة (جعفر بن أبي طالب) ومعه من كانوا

لا يزالون بالحبشة من المهاجرين..
وافعم قلب الرسول عليه الصلاة والسلام بمقدمه غبطة، وسعادة، وبشرا...
وعانقه النبي (صلى الله عليه وآله) وهو يقول:
[لا أدري بأيهما أنا أسر: بفتح خيبر... أم بقدوم جعفر..].
وركب رسول الله (صلى الله عليه وآله) وصحبه إلى مكة، حيث اعتمروا عمرة القضاء، وعادوا إلى المدينة، وقد امتلأت نفس (جعفر) روعة بما سمع من أنباء إخوانه المؤمنين الذين خاضوا مع النبي (صلى الله عليه وآله) غزوة (بدر) و (أحد)... وغيرهما من
المشاهد والمغازي... وفاضت عيناه بالدمع على الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وقضوا نحبهم شهداء أبرارا...
وطار فؤاده شوقا إلى الجنة، وأخذ يتحين فرصة الشهادة، ويترقب لحظتها المجيدة..!!

* * *

وكانت (غزوة مؤتة) التي أسلفنا الحديث عنها، تتحرك راياتها في الأفق متأهبة للزحف، وللمسير...
ورأى (جعفر) في هذه الغزوة فرصة العمر، فإما أن يحقق فيها نصرا كبيرا لدين الله، وإما أن يظفر باستشهاد عظيم في سبيل الله...
ومضى يقاتل بها في إقدام خارق.. إقدام رجل لا يبحث عن النصر، بل عن الشهادة...
وتكاثر عليه وحوله مقاتلة الروم، ورأى فرسه تعوق حركته فاقتحم عنها فنزل، وراح يصوب سيفه ويسدده إلى نحور أعدائه كنقمة القدر.
وانطلق وسط صفوف الروم المتكالبة عليه يدمدم كالإعصار، وصوته يتعالى

بهذا الرجز المتوهج:
يا حبذا الجنة واقترابها * طيبة، وباردا شرابها
والروم روم، قد دنا عذابها * كافرة بعيدة أنسابها
علي إذ لاقيتها ضرابها
وأدرك مقاتلو الروم مقدرة هذا الرجل الذي يقاتل، وكأنه جيش لجب...
وأحاطوا به في إصرار مجنون على قتله، وحوصر بهم حصارا لا منفذ فيه لنجاة..
وضربوا بالسيوف يمينه، وقبل أن تسقط الراية منها على الأرض تلقاها بشماله.. وضربوها هي الأخرى، فاحتضن الراية بعضديه..
* * *
وهكذا، صنع (جعفر) لنفسه موتة من أعظم موتات البشر..!!
وهكذا لقي ربه الكبير المتعال، مضمخا بفدائيته، مدثرا ببطولته..
وأنبأ العليم الخبير رسوله بمصير المعركة، وبمصير جعفر، فاستودعه الله، وبكى..
وقام إلى بيت ابن عمه، ودعا بأطفاله وبنيه، فتشممهم، وقبلهم، وذرفت عيناه...
ثم عاد إلى مجلسه، وأصحابه حافون به ينعى جعفرا، ووقف شاعر الإسلام (حسان بن ثابت) يرثي جعفرا ورفاقه:
غداة مضوا بالمؤمنين يقودهم * إلى الموت ميمون النقيبة أزهر
أغر كضوء البدر من آل هاشم * أبي إذا سيم الظلامة، مجسر
فطاعن حتى مال غير موسد * لمعترك فيه القنا يتكسر

فصار مع المستشهدين ثوابه * جنان، وملتف الحدائق أخضر
وكنا نرى في جعفر من محمد * وفاء وأمرا حازما حين يأمر
فما زال في الإسلام من آل هاشم * دعائم عز لا يزلن ومفخر
ونهض بعد (حسان) (كعب بن مالك)، فيرسل شعره الجزل:
وجدا على النفر الذين تتابعوا * يوما بمؤتة، اسندوا لم ينقلوا
صلى الإله عليهمو من فتية * وسقى عظامهم الغمام المسبل
صبروا بمؤتة للإله نفوسهم * حذر الردى، ومخافة أن ينكلوا
إذ يهتدون بجعفر ولواؤه * قدام أولهم، فنعم الأول
حتى تفرجت الصفوف وجعفر * حيث التقى وعث الصفوف مجدل
فتغير القمر المنير لفقده * والشمس قد كسفت، وكادت تأفل
وذهب المساكين جميعا يبكون أباهم.. فقد كان جعفر (رضي الله عنه) (أبا المساكين)..
يقول أبو هريرة:
[كان خير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب]...
أجل، كان أجود الناس بماله وهو حي.. فلما جاء أجله أبى إلا أن يكون من أجود الشهداء وأكثرهم بذلا لروحه وحياته..
إنه رقى في جنان الخلد، يحمل أوسمة المعركة على كل مكان من جسد أنهكته السيوف والرماح..
وإن شئتم، فاسمعوا قول الرسول (صلى الله عليه وآله):
[لقد رأيته في الجنة.. له جناحان مضرجان بالدماء.. مصبوغ القوادم]...!!!
فسلام عليه يوم ولد، ويوم أسلم، وجاهد، واستشهد، ويوم يبعث حيا.

" مصعب بن عمير "
الزركلي - في أعلامه - قال:
مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف، القرشي، من بني عبد الدار.
صحابي، شجاع، من السابقين للإسلام، أسلم في مكة وكتم إسلامه فعلم به أهله، فأوثقوه كتافا وحبسوه، فهرب مع من هاجر إلى الحبشة، ثم رجع إلى مكة، ومنها إلى المدينة، فكان أول من جمع الجمعة فيها، وعرف بالمقرئ، وأسلم على يده أسيد بن خضير، وسعد بن معاذ، وسعد بن عبادة، وشهد بدرا، وحمل اللواء يوم أحد، فاستشهد، وكان في الجاهلية فتى مكة شبابا وجمالا ونعمة، ولما ظهر الإسلام زهد بالنعيم، وكان يلقب ب (مصعب الخير)، ويقال: فيه وفي أصحابه نزلت الآية:
* (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) *.
مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي بن كلاب بن مرة القرشي العبدي، يكنى أبا عبد الله (١).
هذا الفتى من الأوائل وفي الرعيل الأول للمسلمين، ومن الذين كتموا

---

(١) كتاب نسب قريش ٤: ٢٥.

إسلامهم وكان في الجاهلية في مقدمة شبابها نضارة وجمالا وفتوة، ولد في نعمة متناهية، وغذي بها، وشب تحت خمائلها، ملبسا ومأكلا، ولعله لم يكن في فتيان مكة من ظفر بالنعمة، ودلال أبويه بمثل ما ظفر به (مصعب بن عمير).

كان حديث حسان مكة، ولؤلؤة ندواتها ومجالسها، وهل يمكن أن يتحول إلى أسطورة من أساطير الإيمان والفداء...؟؟ نعم، إنه واحد من أولئك الذين صاغهم الإسلام ورباهم الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله)، وأي تربية هذه؟

إن قصة حياة مصعب بن عمير لشرف عظيم لأبناء جلدته، أو قل للإنسانية جمعاء.

وإليك قصة حياته:

لقد سمع هذا الفتى في أندية قومه بمكة أن محمدا الصادق الأمين، يقول إن الله أرسله بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى عبادة الله الواحد الأحد، وأصبحت قريش وسائر المشركين في مكة لا هم لهم ولا شغل يشغلهم إلا الذي يبشر بالدين الجديد وبتوحيد الآلهة.

وكان مصعب بن عمير فتى قريش المدلل الأنيق، أكثر الناس استماعا وأكثرهم انجذابا لهذا الحدث، على رغم حداثة سنه، غير أن رجاحة عقله، وفطنته الفذة ساقته أكثر فأكثر للاندفاع والتأثير بالدعوة الجديدة.

لقد سمع فيمن سمع أن محمدا الصادق الأمين ومن آمن معه يجتمعون بعيدا عن عيون وفضول قريش وأذاها، في دار الأرقم بن أبي الأرقم - على الصفا - فلم يطل به الزمان ولا التردد، منتظرا حلول الظلام في المساء حتى دلف دار الأرقم تسبقه أشواقه ورؤاه.

فوجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) بين أصحابه محيطين به يتلو عليهم من الآيات النازلة

عليه في القرآن الكريم، ويصلي بهم ويأتمون به لله العلي القدير.
ولم يكد مصعب بن عمير يسمع كلمات الرسول العظيم (صلى الله عليه وآله) حتى تنساب
الآيات المشرفات إلى مسمع الفتى، ثم تأخذ طريقها إلى قلبه فيشع نور الإيمان في كيانه وينصهر في بودقته. وكادت الغبطة تخلعه من مكانه، وكاد يطير من شدة الفرح.
وقربه الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) إليه وبسط يمينه المباركة حتى مسحت صدره
المتوهج بالإيمان والفؤاد الثاقب، فكانت السكينة والإيمان ملئ كيانه، وفي لمح البصر كان هذا الفتى المملوء حيوية قد آمن بالله الواحد الأحد والرسول المرسل واكتسب من الحكمة ما يفوق ضعف سنه مشفوعا بيقين الإيمان والإقدام والتصميم ما يعجز عن وصفه الواصفون وما يغيره سير الزمان...؟؟
كانت أم مصعب (خناس بنت مالك) امرأة ذات شخصية قوية، وكان
يهابها الناس، ولم يكن مصعب حين أسلم يخاف أحدا من الناس غير أمه،
فلو أن مكة وطغاتها وقفت بوجهه لاستخف بها وقاومها، أما خصومة أمه فإنه لا طاقة له عليها. وبذلك قرر أن يكتم إيمانه وإسلامه حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا.
وصار يتردد على دار الأرقم، ويجلس إلى النبي الكريم (صلى الله عليه وآله) مع من آمن به
من المؤمنين، وهو قرير العين بإيمانه، ويتفادى غضب أمه التي لا تعلم عن إسلامه شيئا.
غير أن طواغيت قريش وعيون جبابرة المشركين لا يخفى عليهم شئ في
تلك الأيام بالذات، فهم يحصون أنفاس المؤمنين وتحركاتهم.
ولقد بصر به (عثمان بن طلحة) وهو من بني عبد الدار ومن سدنة الكعبة،

في يوم ما وهو يدخل خفية دار الأرقم، ثم رآه مرة أخرى وهو يصلي، فذهب مسرعا إلى أم مصعب حيث ألقى عليها النبأ الذي وقع عليها وقوع الصاعقة.

ووقف مصعب أمام أمه وعشيرته من أشراف مكة من بني عبد الدار، مجتمعين حوله يتلو عليهم من آيات الحق واليقين، وبرباطة جأش، أثبت من الجبال الرواسي. ولما سمعوا منه ذلك جن جنونهم، وهمت أمه أن تسكته بلطمة قاسية على وجهه، لكنها استرخت وتراجعت أمام ذلك النور الساطع الذي زاد وسامة وجهه الذي ألبسه بهاء وجلالا يفرض الاحترام، وهدوءا واطمئنانا يفرض الإقناع.

لكنها أخذته إلى ركن قصي من أركان دارها، وفي زاوية من زواياها أوثقته كتافا وحبسته فيه، وأحكمت عليه إغلاق الدار، وظل رهين حبسه، حتى علم بخروج بعض المؤمنين مهاجرين إلى أرض الحبشة، فاحتال لنفسه مع من ساعده، وغافل أمه وحراسه، ومضى إلى الحبشة مع أول قافلة مهاجرة بأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله)، بإمرة

عثمان بن مظعون.

ومكث في الحبشة مع إخوانه المؤمنين المهاجرين مدة من الزمن ثم يعود إلى مكة مع من عاد منهم بعد أن طرق سمعهم أن قريشا هادنت المسلمين، ثم هاجر إلى الحبشة مرة ثانية مع المؤمنين والأصحاب الذين أمرهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالهجرة لما

أمعن طغاة المشركين في تعذيب المؤمنين المسلمين بإمرة جعفر بن أبي طالب بعدما تبين له زيف ما سمع من مهادنة المشركين.

سواء كان (مصعب بن عمير) في الحبشة أو في مكة، فإن إيمانه يفوق المكان والزمان، وأينما يكون فهو بطاعة الله ورسوله، ولقد أتم صياغة نفسه على النسق الذي رباه عليه الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وجعله نموذجا صالحا مختارا يقتدى به،

واطمأن مصعب إلى أن حياته الجديدة صارت جديرة بأن يقدمها قربانا لخالقه العظيم، ولرسوله الكريم، لتثبيت دعائم الإسلام، وتركيز أسس شريعة السماء في الأرض.
دخل يوما على بعض المسلمين وهم جلوس حول رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فلما
أبصروا به حتى أحنوا رؤوسهم وغضوا أبصارهم وذرفت عيونهم دمعا شجيا.
ذلك لأنهم رأوه... يرتدي جلبابا مرقعا بإهاب كبش باليا وعاودتهم
صورته الأولى قبل إسلامه، حين كان يرفل بأزهى الثياب وأنظرها ألقا وعطرا.
ونظر رسول الله (صلى الله عليه وآله) إليه بنظرات حكيمة، ملئها الحب والحنان وتألقت
شفتيه ابتسامة مشرقة، وقال:
[لقد رأيت مصعبا هذا وما كان بمكة فتى أنعم عند أبويه منه، لقد ترك ذلك كله حبا لله ورسوله]!!
حيث منعته أمه حينما يئست من رده إلى الشرك كل ما كانت تفيض عليه من نعمة، وأبت أن يأكل طعامها إنسان هجر آلهتها، حتى لو كان ذلك الإنسان فلذة كبدها.
ولقد كان آخر عهدها به حين حاولت حبسه مرة ثانية بعد رجوعه من الحبشة، فآلى على نفسه لئن فعلت ليقتلن كل من تستعين به على حبسه.
وإنها لتعلم صدق عزمه إذا هم وعزم فتركته باكية وودعها باكيا، وكشفت لحظة الوداع عن إصرارها العجيب على الكفر، قائلة له وهي تخرجه من بيتها:
إذهب لشأنك لم أعد لك اما، يقابله إصرار الابن على الإيمان حينما اقترب منها وهو يقول: يا أماه إني لك ناصح، وعليك شفيق، فاشهدي أنه لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، فأجابته غاضبة: " قسما بالثواقب، لا أدخل في دينك، فيزرى

برأيي، ويضعف عقلي ".
وخرج مصعب من النعمة الوارفة التي كان يعيشها في الشرك، مؤثرا شظف العيش والفاقة في الإسلام على النعيم والبذخ في الشرك، وأصبح ذلك الفتى المتأنق المعطر، لا يرى إلا مرتديا أخشن الثياب، يأكل يوما، ويجوع أياما، ولكن روحه المتعالية بسمو العقيدة والإيمان، والمتألقة بنور الله سبحانه، كانت قد جعلت منه إنسانا آخر يملأ العين بهجة وجلالا، والنفس روعة وحبورا.
ولقد اختار الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) مصعبا لمهمة خطيرة دون الشيوخ من أصحابه ووجهائهم، ليكون أول سفير له إلى المدينة مع النفر الاثني عشر الذين بايعوه في العقبة الأولى يفقه الأنصار الذي آمنوا وبايعوا الرسول (صلى الله عليه وآله) عند العقبة.
وليدخل غيرهم في دين الله، ويمهد الأرضية الصالحة والقاعدة الراسخة في يثرب ليوم الهجرة العظيم.
وحمل (مصعب) الأمانة بكل جدارة وإخلاص، مستعينا بما أنعم الله عليه من رجاحة العقل والخلق الكريم، وبذلك استولى على عقول وقلوب سادات أهل يثرب من الأوس والخزرج، بكياسته وحسن بلائه، وزهده المميز وتواضعه الآسر وأخلاقه الحميدة، فدخلوا في دين الله أفواجا.
لقد دخل مصعب يثرب وليس فيها سوى اثني عشر مسلما - الذين جاء معهم - وهم الذين آمنوا وبايعوا النبي الكريم (صلى الله عليه وآله) من قبل (بيعة العقبة الأولى)،
ولكنه لم يكد يحل بينهم بضعة أشهر حتى جلب الكثير منهم فاستجابوا لله ولرسوله.
وفي موسم الحج من السنة التالية لبيعة العقبة الأولى كان الذين أسلموا في يثرب يرسلون إلى مكة وفدا يتألف من سبعين رجلا مؤمنا ينوب عنهم إلى رسول

الله ويمثلهم في تجديد البيعة، جاؤوا تحت قيادة معلمهم ومبعوث نبيهم (مصعب بن عمير) فبايعوا الرسول (صلى الله عليه وآله) في العقبة الثانية، والتي سميت بيعة العقبة الثانية على أن
يمنعوه كما يمنعون به أنفسهم وأهاليهم إذا هاجر إليهم.
فقد استوعب (مصعب) حجم رسالته المبعوث بها إلى أهل يثرب وحواليها، ووقف عند حدودها، وعرف كيف يبلغها زعماء الأوس والخزرج وأشرافها وبعض الجبابرة المشركين والتوقي من مكائد المردة من أهل الكتاب لا سيما اليهود منهم، مبلغا، ومبشرا، وداعيا إلى الهدى، وإلى صراط مستقيم، ومنذرا بعذاب أليم.
وكان (مصعب) في ضيافة (أسعد بن زرارة)، وكانا يغشيان معا القبائل، والبيوتات، والمجالس، تاليا على الناس ما معه من الآيات من كتاب ربه، هاتفا بينهم بلين ورفق عظيم بكلمة الواحد الأحد [إنما الله إله واحد].
ولقد تعرض (مصعب) لمواقف حرجة كادت أن تؤدي بحياته وبمن معه، لولا عناية الله وفطنة مصعب ورجاحة عقله.
فقد فاجأ (مصعب) ذات يوم وهو واقف يعض الناس منهم (أسيد بن حضير) سيد بني عبد الأشهل بيثرب، فاجأه شاهرا حربته، يتوهج غضبا وحنقا على الذي جاء به ليفتن قومه عن دينهم، ويدعوهم لهجر آلهتهم، ويحدثهم عن إله واحد لم يعرفوه من قبل، ولم يألفوه!!
وما أن رأى المسلمون الذين يستمعون لمصعب مقدم أسيد بن حضير شاهرا حربته، متوشحا غضبه الملتظى، وثورته المتحفزة، حتى وجلوا وأوجسوا منه خيفة، ولكن (مصعب الخير) ظل بموقفه ثابت الجأش، وديعا صامدا.
وقف أسيد أمامه مهتاجا، وهو يخاطب مصعبا وأسعد بن زرارة: " ما جاء

بكما إلى حينا، تسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا، إذا كنتما لا تريدان الخروج من الحياة "؟؟
أجابه مصعب بكل هدوء ووقار، مثل هدوء طلوع الفجر وانسيابه، بعد أن انفرجت أساريره، ونطق بلين الكلام لسانه قائلا:
" أو لا تجلس فتستمع؟؟ فإن رضيت أمرنا قبلته، وإن كرهته كففنا عنك ما تكره ". كلام بليغ ومنطق سليم. الله أكبر... ما أروعها من بداية سيسعد بها الختام!!
كان (أسيد بن حضير) رجلا أريبا عاقلا، ومنطقيا وقد رأى مصعبا يحتكم معه إلى ضميره، فيدعوه إلى أن يسمع كلامه لا غير، فإن هو اقتنع فبها، وإن لم يقتنع ترك (مصعب) حيهم وعشيرتهم، وتحول إلى حي آخر، وعشيرة أخرى، غير ضار ولا مضار.
هنالك أجابه (أسيد) قائلا: أنصفت... وألقى حربته إلى الأرض، وجلس يصغي إلى قول (مصعب).
ولم يكد مصعب يقرأ آيات من القرآن، ويفسر الدعوة التي جاء بها الرسول العظيم (صلى الله عليه وآله) حتى أخذت أسارير (أسيد) تبرق وتشرق وتتفتح وتعتبر بواقع
الكلام، وتأسره بعمق معانيها وجمالها.
ولم يكد يفرغ مصعب من تلاوة الآيات وحديثه حتى هتف به (أسيد بن حضير) وبمن معه قائلا:
" ما أحسن هذا القول وأصدقه... كيف يصنع من يريد أن يدخل في هذا الدين "؟
وأجابه المسلمون بتهليلة رجت الأرض رجا، ثم طلب منه مصعب أن

" يطهر ثوبه وبدنه... ويشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله ".
فغاب عنهم (أسيد) قليلا ثم عاد يقطر ماء الطهور من شعر رأسه، ووقف يعلن إسلامه قائلا: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله.
وسرى الخبر كالضوء في أنحاء يثرب كافة، وجاء (سعد بن معاذ) فأصغى لمصعب وهو يقرأ آيات من القرآن، حتى اقتنع وأسلم، ثم تلاه (سعد بن عبادة) رئيس الخزرج، وتمت بإسلامهم النعمة، وائتلفت الفرقة وأقبل أهل يثرب بعضهم على بعض يتساءلون ويستطلعون الخبر، ثم قالوا: إذا كان أسيد بن حضير، وسعد ابن معاذ، وسعد بن عبادة، وهم سادتنا ورؤساؤنا قد أسلموا، ففيم تخلفنا إذا؟
هيا بنا إلى مصعب، لنسلم على يديه، ونؤمن بما جاء به الرسول من ربه، فإن الحق يخرج من بين ثناياه!!
لقد نجح مصعب بتبليغه الرسالة نجاحا منقطع النظير، وهو أول السفراء
للرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)، وهذا دليل قاطع على حكمة الرسول (صلى الله عليه وآله) وحسن اختياره.
وتمضي الأيام والأعوام، ويهاجر الرسول (صلى الله عليه وآله) ومن معه إلى يثرب، وتعيش
قريش بأحقادها، وتتساءل فيما بينها: كيف فلت محمد من بينها ليلة أعدت صناديدها للهجوم عليه واغتياله، ثم تعد العدة والعدد بباطلها وشركها، لتواصل اعتداءاتها الظالمة للرسول (صلى الله عليه وآله) ومطاردة المؤمنين المسلمين من أصحابه في يثرب،
وما أن سمع الرسول (صلى الله عليه وآله) غزو المشركين، حتى توجه إلى ماء بدر ليلتقي بهم هناك
قبل أن يصلوا يثرب.
وتلتقي جيوش الشرك الكفرة بجيش الإيمان جيش الرسول (صلى الله عليه وآله) في بدر،
وكان الجيشان غير متكافئين من حيث العدة والعدد، حيث إن استعداد قريش كان يفوق أضعاف جيوش المسلمين عدة وعددا، وقد ذكرنا ذلك في المجلد الأول

من موسوعة المصطفى والعترة (محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله))، وشهد (مصعب بن عمير)
غزوة بدر مع الرسول (صلى الله عليه وآله)، ويلقنون جيوش المشركين الكفار درسا يفقدهم
صوابهم، حيث قتل من صناديد قريش وشجعانهم سبعون ماردا واسر منهم سبعون وهزم الباقون شر هزيمة يجرون أذيال الخيبة والعار، ويملأ الحقد قلوبهم.
وغزا المشركون المدينة مرة ثانية بأكثر عدة وعددا، فيلتقي بهم المسلمون في (أحد) ويعبؤون أنفسهم، ويقف الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) في وسط صفوف المسلمين
ليختار من بينهم من يحمل الراية، ويدعو (مصعب الخير) الذي هو من بني عبد الدار، فيتقدم ويحمل اللواء، حيث كان حاملا راية المشركين بني عبد الدار وشجعانهم.
وتشب المعركة الرهيبة، ويحتدم القتال، ويحمى الوطيس، وتنتصر عساكر المسلمين في بادئ الأمر انتصارا ظاهرا، وانهزم المشركون، وانشغل المسلمون بالسلب، ويخالف بعض الرماة الذين عينهم الرسول (صلى الله عليه وآله) في فتحة الجبل ليحمي
ظهور المسلمين، ويغادرون مواقعهم من فتحة الجبل ليشتركوا في السلب، ولكن عملهم هذا، سرعان ما يحول نصر المسلمين إلى هزيمة منكرة، ويفاجأ المسلمون بفرسان قريش يقدمهم خالد بن الوليد تغشاهم من فتحة الجبل الذي تركوه،
وتعمل سيوف المشركين فيهم على حين غرة من خلفهم، ومزقتهم شر ممزق، فقتل منهم من قتل وهرب منهم إلى أعالي الجبال.
وحين رأى الفئة الثابتة من المؤمنين وفي مقدمتهم الإمام علي، ومصعب بن عمير، وأبو دجانة، الفوضى والذعر يمزقان صفوف المسلمين، وتركيز المشركين واندفاعهم إلى مركز القيادة لينالوا من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأدرك المسلمون الخطر

الغادر، تقدم مصعب باللواء عاليا نحو المشركين ودافع دفاع المستميت، يد تحمل الراية ويد تضرب بالسيف، غير أن تكاثر الأعداء عليه للعبور على جثته إلى حيث يلقون الرسول (صلى الله عليه وآله).

ولندع شاهد عيان يصف لنا مشهد المعركة وختام حياة مصعب الخير وشهادته.

يقول ابن سعد: أخبرنا إبراهيم بن محمد بن شرحبيل العبدري، عن أبيه، قال:

حمل (مصعب بن عمير) اللواء يوم أحد، فلما جال المسلمون ثبت به مصعب، وقتل الأقران من المشركين، فأقبل ابن قميئة - وهو فارس - فاختلفا بضربتين، فضربه على يده اليمنى فقطعها، ومصعب يقول: * (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) *.

وأخذ اللواء بيده اليسرى وحنا عليه، فضرب يده اليسرى فقطعها، فحنا على اللواء وضمه بعضديه إلى صدره، وهو يقول: * (وما محمد إلا رسول قد خلت من

قبله الرسل) * [ثم حمل عليه ابن قمئة ثالثة بالرمح فأنفذه واندق الرمح ووقع مصعب وسقط اللواء] (ألا لعنة الله على ابن القمئة) خر مصعب على الأرض صريعا كالجبل... وسقط اللواء.

وقع شهيد الفضيلة مضرجا بدمه، بعد أن خاض سوح الجهاد في استبسال قل نظيره في معركة الفداء والإيمان، مدافعا عن الرسول ورسالته.

وبعد شهادته وقف الإمام علي (عليه السلام) والبقية الباقية من جنود الإسلام كأبي دجانة يحامون عن حرم رسول الله ويدافعون عنه دفاع المستميت، إلى أن رجع الكفار وولوا الدبر.

وبعد أن وضعت الحرب أوزارها، وجد جثمان الشهيد مصعب مع جثث
الشهداء مطروحة على أرض المعركة هنا وهناك، وجاء الرسول (صلى الله عليه وآله)
وأصحابه
يتفقدون أرض المعركة ويودعون شهداءها، وقف على جثمان مصعب وسالت
دموعه غزيرة، وقرأ هذه الآية:
* (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) *.
يقول خباب بن الأرت:
هاجرنا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في سبيل الله، نبتغي وجه الله فوجب أجرنا
على
الله، فمنا من مضى، ولم يأكل من أجره في دنياه شيئا - منهم حمزة بن عبد المطلب،
ومصعب بن عمير - قتل يوم أحد... فلم يوجد له شئ يكفن فيه إلا نمرة.. فكنا إذا
وضعناها على رأسه تعرت رجلاه، وإذا وضعناها على رجليه برز رأسه، فقال لنا
رسول الله (صلى الله عليه وآله): " اجعلوها مما يلي رأسه، واجعلوا على رجليه من
نبات
الأذخر ".
وعلى الرغم من الألم والحزن العميق الذي سببه رزء الرسول (صلى الله عليه وآله) في
عمه
حمزة، وتمثيل المشركين بجثمانه الطاهر تمثيلا فظيعا، بحيث أفاض دموع الرسول
(صلى الله عليه وآله)
وأوجع قلبه.
وعلى الرغم من امتلاء أرض المعركة بجثث أصحابه البررة الذين كان كل
واحد منهم يمثل عالما من الطهر والصدق والوفاء، لكن وقفته على جثمان أول سفرائه
(مصعب بن عمير) يودعه وينعاه، ترك أثره العميق في نفسه قائلا: * (من المؤمنين
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) *، ثم ألقى بردته عليه وكفنه فيها بحزن وأسى،
وقال: [لقد رأيتك بمكة، وما بها أرق حلة، ولا أحسن لمة منك، ثم ها أنت ذا شعث
الرأس في بردة]؟؟

وقال (صلى الله عليه وآله) وقد وسعت نظراته الحانية العطوفة أرض المعركة بكل من عليها
من أصحابه، وقال:
[إن رسول الله يشهد أنكم الشهداء عند الله يوم القيامة].
ثم أقبل على أصحابه الأحياء منهم وقال:
[أيها الناس زوروهم، وأتوهم، وسلموا عليهم، فوالذي نفسي بيده،
لا يسلم عليهم مسلم إلى يوم القيامة، إلا ردوا عليه السلام].
فسلام عليه يوم ولد، ويوم أسلم وهاجر، ويوم جاهد وبلغ، ويوم استشهد،
ويوم يبعث حيا.